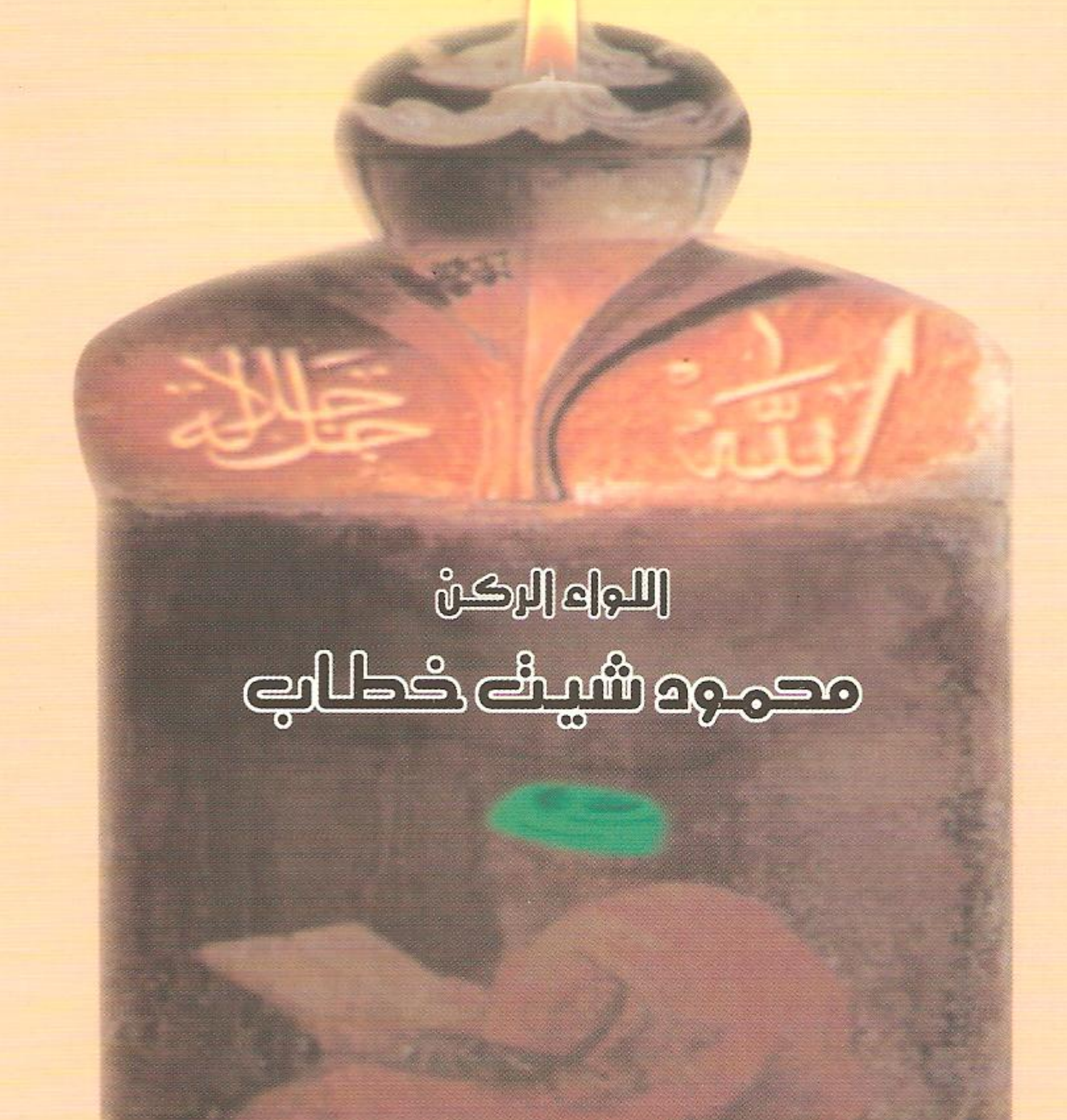
أَقباس رُوحَانية

حِكَم ومواعِظ



اللواء الركن

محمود شيت خطاب

دار وحي القلم

الكتاب
أقباس روحانية
حكم ومواعظ
المؤلف
محمود شيت خطاب
الطبعة
الأولى **1426** هـ / **2006** م
عدد الصفحات: 144
القياس: 14 * 20

الناشر
دار وحي القلم
بيروت، لبنان ص.ب :113/6502 فاكس: 653655(009611)

توزيع
مكتبة وحي القلم
دمشق، سورية ص.ب:30297 فاكس:2455738(0096311)
هاتف: 396818(0096393)
E-mail:info@alkalam-sy.com – Site:www.alkalam-sy.com

أشرف على الإخراج الفني والتنفيذ الطباعي
مؤسسة قرطاج دمشق ص.ب:30297 – هاتف: 396818(0096393)
سليم محمد دولة

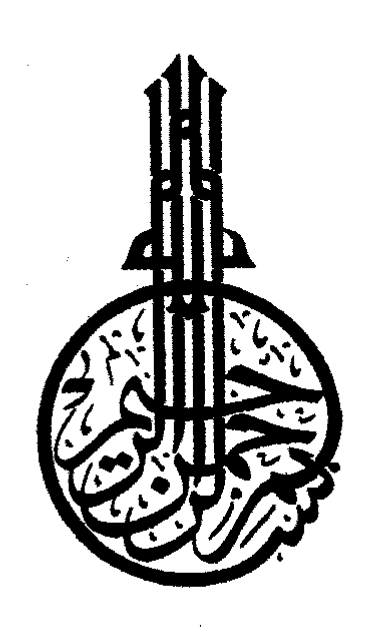
أقباس رُوحَانية

حِكَم ومواعِظ

اللواء الركن

محمود شيت خطاب




بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر سابقاً

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافى نعمه ويكافىءُ مزيده، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم، وعلى آل سيدنا إبراهيم، في العالمين: إنك حميد مجيد.

وبعد:

فإنّ من خير ما ينبثق عنه إيمان المؤمن أن يدعو إلى الله على بصيرة وهدى محققاً قول الله سبحانه:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

والدعوة إلى الله: أمراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر لا تتأتى لأي إنسان ولا تُؤتي ثمارها إلاَّ بعد التزام كامل بجوهر الإسلام وشريعته السمحاء.

والدعوة إلى الله بغير هذا الالتزام تصبح نوعاً من التهريج والطنطنة الكاذبة التي لا يقصد بها إلاَّ حب الظهور والتملق

والتستر تحت راية الإسلام والعياذ بالله.

والداعية إلى الله يبلغ أَمر ربه بادئاً بنفسه وأَهله وعشيرته ما وسعه إلى ذلك من سبيل، وحينذاك يكون هو ـ في نفسه ـ قدوة وأُسوة يؤتسى به، ويقتدى به فيما عمل وأمر به.

والقرآن الكريم يخاطب المسلمين مؤكداً لهم الخطاب عن رسولهم الكريم ﷺ:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾ [الممتحنة: ٦].

وما ذلك إلاَّ لأَن رسول الله ﷺ الذي خُتمت به رسالات السماءِ كان خير من التزم بأَمر ربه في نفسه وأَهله عملاً وتركاً، فكان خير قدوة فيما يأْمر به ويدعو إليه مؤْتَمِراً بقوله سبحانه:

﴿۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ﴾ [المائدة: ٦٧].

والرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه لا يدعو إلى الله وحده لأَنه ملتزم بأَمر ربه وحسب، بل إن الدعوة إلى الله ـ كما هي ديدنه هي أَيضاً ديدن أَصحاب وأَتباعه ومحبيه إلى يوم الدين، والقرآن الكريم يسوق ذلك في عبارة موجزة جميلة:

﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

وكما أَن الله سبحانه وتعالى عصم رسوله ﷺ من الناس وحماه

من شرورهم حتى بلغ الرسالة وأَدى الأَمانة ونصح الأُمة، وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.. كذلك، فإن الله سبحانه وتعالى يعصم الداعين إليه ويحميهم ويرعاهم. ويحبب إليهم الإيمان ويزينه في قلوبهم، ويجعل لهم مخرجاً من كل هم وغم ينزل بهم، وينصرهم في النهاية دائماً محققاً وعده لهم، فقال:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر: ٥١].

وتتنوع وسائل الدعوة إلى الله، وهي في النهاية تؤدي ـ فيما تُؤدي إليه ـ إلى تحقيق خلافة الإنسان في الأَرض عن ربه وتحققه بوحدانيته عزَّ وجلَّ.

فهي أَمر ونهي مباشر يدعمها قصص التبشير والإنذار والوعد والوعيد ـ جرياً على سنة الله في كونه وخلقه ـ وهذا طابع رسالات السماءِ، وفي قمتها القرآن الكريم.

وهي سلوك قويم وكريم في إطار الالتزام بجوهر رسالات السماءِ، وهذا ما نلمسه في دعوة الرسل والأَنبياء، ومن سار على هديهم من أَصحابهم وذويهم.

وهذا السلوك يتضمن فيما يتضمن الفضائل التي تدعو إليها رسالات السماءِ إذ هو نتاجها المباشر المنبثق عنها.

وهذا السلوك هو المعنى بقولِ الله سبحانه:

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ . . . ﴾ [الممتحنة: ٤].

وفي قوله سبحانه:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ﴾ [الممتحنة: ٦].

وفي قول رسول الله ﷺ ـ في قول من أَقواله الكثيرة:

«أَصحابي كالنجوم: بأَيهم اقتديتم اهتديتم»[1].

هذا:

وأن «الأَقباسَ الروحانية» التي يقدمها الأَخ الفاضل اللواءُ الركن: محمود شيت خطاب: هي من خير ما يقدم في مجال الدعوة إلى الله على بصيرة وهدى، قولاً وسلوكاً؛ ففيها: ﴿ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[سورة ق: ٣٧]، ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [سورة الذاريات: ٥٥] وفيها: المُلحة والطرفة الأَدبية البريئة التي تسكن إِليها النفس، ويرتاح إليها القلب، وإِن الترويح محبب تدعو إِليه الرسالات ما دام في إِطار صادق ولائق بعيداً عما نهى الله عنه أو حذّر من عاقتبه، فإِن القلوب إذا كلت عُميت، وإِذا عُميت ماتت ـ نسأَل الله السلامة.

---

(١) ضعفه أئمة الحديث. انظره منهاج السنة ٧/ ١٤٢.

وأَسأَل الله سبحانه أَن يجزل لكاتبه المثوبة وأَن ينفع به ويهدي له، إِنه سميع قريب، والله الموفق.

د. عبد الحليم محمود

شيخ الأَزهر سابقاً



أقباس روحانية

فيم الجمال؟

قال العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه: يا رسول الله! فيم الجمال؟ قال: في اللِّسان.

الفضل والمروءة والحسب والدين

قام رجل من مجاشع إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! أَلستُ أَفضل قومي؟

فقال النبي ﷺ: إن كان لك عقلٌ فلك فضل، وإن كان لك خُلُق فلك مروءَة، وإن كان لك مالٌ فلك حسب، وإن كان لك تُقى فلك دين.

بلال يؤِّذن

لما تولَّى الخلافة أَمير المؤمنينَ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، وفتحت جيوش المسلمين أَرض الشَّام، تقدم إليه مؤَذن رسول الله ﷺ بلال بن رباح الحبشي رضى الله عنه يستأْذنه أَن يقيم بالشام، فأَذن له عمر.

وبينما هو مقيم بها، رأَى في منامه رسول الله ﷺ وهو يقول له: «ما هذه الجفوة يا بلال؟! أَما آن لك أَن تزورني يا بلال»؟

وانتبه بلال من نومه خائفاً وجلاً، وركب من يومه راحلته قاصداً مدينة رسول الله ﷺ، وسار إلى أَن دخل المدينة المنورة،

وأتى قبر النبي ﷺ وانكب عليه يبكي ويمرِّغ وجهه عليه. ثم طلب منه الناس أَن يؤَذن في المدينة، ولما أَخذ في الأذان ارتّجت المدينة بالبكاء، وتذكر الناس رسول الله ﷺ، فما رُؤي يوم أَكثر باكياً بالمدينة من ذلك اليوم.

حياً وميّتاً

ذكر بعض المؤرِّخين، أَن أَبا جعفر المنصور ناظر الإمام مالك بن أَنس رضى الله عنه في مسجد رسول الله ﷺ، فقال له مالك: يا أَمير المؤمنين! لا تَرْفع صْوتك في هذا المسجد، فَإِنَّ الله تعالى أَدب قوماً فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الحجرات: ٢]...

ومدح قوماً فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحجرات: ٣]. وذم قوماً فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الحجرات: ٤]. وإِنَّ حرمته ميتاً كحرمته حيّاً.... فاستكان لها المنصور.

النار..! النار..!.

مرّ رجل من التابعين برجل أَعمى مقطوع اليدين مبتور الساقين، مكبا على وجهه، ينادي بأَعلى صوته: النار...! النار...!.

ثم لا ينفك يردد: النار...! النار...!

وسأَله التابعي رضي الله عنه: ما شأْنك؟!.

قال: كنت من الذين دخلوا على عثمان بن عفان رضي الله عنه الدار لأَقتله، فلما كنت على بُعْد خطوات منه شاهراً سيفي، دافعتْ عنه امرأَته وحاولت صدي، فلطمتها لطمة شديدة ودفعتها عني لأَخلص إِلى عثمان. فقال لي عثمان حين رآني أَلطم زوجته: ما لك؟! قطع الله يديك، وبتر ساقيك، وأَعمى عينيك، وأَدخلك النار.

واستجاب الله دعاء عثمان، وها أَن كما تراني، فلم يبقَ من دعوته إِلا النار!

رضي الله عن عثمان ذي النورين، فقد كان مستجاب الدعوة، ومن العشرة المبشرين بالجنة، رضوان الله عليهم أَجمعين.

بين عالم وسلطان:

الإِمام الأَوزاعي من فقهاء الشام الذين لا يخشون في الحق لومة لائم. وصفه ابن سعد فقال: «فاضل، خيِّر، كثير الحديث والعلم والفقه، حجّة، أَخذ عنه مالك بن أَنس، ومع تثبته في الفقه كان ثبتاً في اللغة أَيضاً».

ومن أَقواله: «إِذا أَراد الله بقوم شراً فتح عليهم باب الجدل، وسدّ عنهم باب العمل».

وللأَوزاعي رضي الله عنه مواقف تبيِّن شدته في الحق وجرأته فيه.

لما دخل عبد الله بن علي العباسي الذي قضى على دولة بني أمية ـ دمشق بعد أَن أَجلى بني أُمية عنها، طلب الأَوزاعيَّ فتغيب عنه ثلاثة أَيام، ثم حضر بين يديه.

قال الأوزاعي: «دخلت عليه فسلَّمت فلم يرد، ثم قال: يا أَوزاعي! ما ترى فيما صنعناه من إزالة أَيدي أَولئك الظلمة عن العباد والبلاد؟ أَجهاداً أَو رباطاً هو؟ فقلت: أَيها الأمير! سمعت يحي بن سعيد الأنصاري يقول: إنَّ رسول الله ﷺ يقول: (إنما الأَعمال بالنيات، وإنما لكل امرىءٍ ما نوى. فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أَو امرأَة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه)؛ فنكث عبد الله بن عليٍ بخرزانة في يده أَشد ما يكون النكث، وجعل مَنْ حوله يقبضون أَيديهم على قبضات سيوفهم!!»

«ثم قالَ يا أَوزاعي! ما تقول في دماءِ بني أَمية؟ فقلت: قال رسول الله ﷺ: (لا يحل دم امرىءٍ مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيّب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة)، فنكث عبد الله بن علي بخرزانته أَشد من ذلك!!»

«ثم قال. ما تقول في أَموالهم؟ فقلت: (إن كانت في أَيديهم حراماً فهي حرام عليك أَيضاً، وإن كانت حلالاً فلا تحل لك إلا بطريق شرعي! فنكث أَشدَ ما كان ينكث من قبل ذلك»!

«ثم قال: أَلا نوليك القضاءَ؟ فقلت: إنَّ أَسلافك لم يكونوا يشقون عليَّ في ذلك، وإني أَحبّ أَن يتم ما بدأُوني به من الإحسان».

«فقال: كأَنك تحب الانصراف؟ فقلت: إِن ورائي حرمات، وهنَّ يحتجن إِلى القيام عليهنَّ وسترهن، وقلوبهن مشغولة بسببي».

وانصرف الإمام الأوزاعي رضي الله عنه، مرفوع الرأْس، عالي الجبين بعد أَن قال كلمة حق عند سلطان جائر.

الله يَدري

-١-

الله يــدري كلمــا تضمــر   وكلمــا تُخفــى ومــا تضمــر
وإِن خدعت الناس لم تستطع   خداع مـن يطـوي ومـن ينشـر

-٢-

الله في وجدي وفي مأملي   مَـنْ لـي بعـود الـزمـن الأول
قد كنتُ أَشكو عذلي في الهوى   فبــتُّ مشتــاقــاً إِلــى عُــذلــي

ولي الدين يكن

لا تظلمن..!

لا تظلمنَّ إِذا ما كنت مقتدراً   الظلـم آخـره يـأْتيـك بـالنـدمِ
تنـام عينـاك والمظلـوم منتبـه   يدعو عليك وعين الله لم تنمِ

دعوة المظلوم

قال رسول الله ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم، فليس بينها وبين الله حجاب».

ما يُبكي الرجال

لا تقولي: أَفيبكي رجل؟؟! يمــلأُ الأعيــن قــدراً وجــلالا
حكمــة الجبــار فينــا جعلــت من صروف الدهر ما يُبكي الرجالا

من الحكم

من حِكَم علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

١ـ عَاِتب أَخاك بالإحسان إليه، واردد شره بالإنعام عليه.

٢ـ من وضع نفسه مواضع التهمة، فلا يلومن من أَساءَ به الظنِ.

٣ـ مَن استبد برأْيه هلك، ومَن شاور الرجال شاركها في عقولها.

٤ـ الناس أَعداء ما جهلوا.

٥ـ الطمع رق مؤبّد.

٦ـ لا يُعدم الصبور الظفر، وإن طال به الزمان.

ماذا أقول بمدحه!!

قالوا: امتدح خير البرية أحمدا بقصيــدة تشــدو بــرفعــة شــأنــه
فأجبتهم: ماذا أقول بمدح مَنْ أثنــى عليــه الله فــي قــرآنــه؟؟

هجرة

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

لما أراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه الهجرة. تقلد سيفه وتنكب قوسه، ثم مضى قِبَل الكعبة المشرفة والملأَ من

قريش بفنائها، وطاف بالبيت سبعاً متمكناً، وأتى المقام فصلى متمكناً، ثم وقف على الحلَق واحدة واحدة وهو يقول: «شاهت الوجوه، لا يرغم الله إلاَّ هذه المعاطس. من أراد أن يثكل أمه أو ييتم ولده أو يرمل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي». فما تبعه أحد، لذلك قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ما علمت أَنَّ أَحداً من المهاجرين هاجر إلا متخفياً، إلاَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه».

لا تحزن إن الله معنا

توجّه رسول الله ﷺ بصحبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى غار (ثور)، وهو على ثلاثة أميال من جنوب غربي مكة المكرمة..

ولما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر رضي الله عنه للنبي ﷺ: «مكانك يا رسول الله استبرىء لك الغار». ودخله أبو بكر وجعل يسد الأجحار كلها، فبقي منها جحر واحدة ألقمه كعب رجله، ثم نادى رسول الله ﷺ، فدخل عليه الصلاة والسلام ووضع رأسه في حجر أبي بكر الصديق رضي الله عنه ونام لشدة ما اعتراه من تعب.

ولُدغ أبو بكر الصديق رضي الله عنه من ذلك الحجر الذي وضع عليه كعب رجله، فلم يتحرك لئلا يوقظ رسول الله ﷺ، ولكن دموعه سقطت من شدة الألم على وجه رسول الله ﷺ، فانتبه عليه الصلاة والسلام، وقال لأبي بكر الصديق رضي الله

عنه: مالك؟ قال: «لُدغت فداك أبي وأمي»، فوضع عليها من ريقه الشريف فزال الألم.

ولما أصبحا قال النبي ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: «أين ثوبك؟»، فأخبره أنه مزقه ووضعه في الأجحار، فرفع النبي ﷺ يديه وقال: «اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي في الجنة».

ولما علم المشركون بخروج رسول الله ﷺ وأبي بكر الصديق رضي الله عنه، ذهبوا في طلبهما كل مطلب، وجعلوا لمن ردهما مئة من الإبل، واقتفوا آثارهما حتى اختلط عليهم. وصعدوا الجبل الذي هما فيه، وجعلوا يمرون من باب الغار ولا يرونهما، فلم يدخلوه، إذ رأوا على بابه نسيج العنكبوت، كما رأوا حمامتين قد عشعشتا على بابه، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يرى القوم فيعتريه الخوف على رسول الله ﷺ، وكان عليه الصلاة والسلام يُطْمِئُنهُ ويقول: (لاَتَحْزَنْ إنَّ الله مَعَنا).

سِواريْ كسرىٰ وتاجه

كان سُراقه بن مالك من أمهر الناس قصاً للآثار، فاستعان به المشركون لتتبع آثار النبي ﷺ وصاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين هاجرا من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.

وركب سراقة فرسه وتبعهما حتى لحق بهما.

يقول سراقة: «حتى إذا سمعت قراءة رسول الله وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات، فعندئذ ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها فأهويت ثم زجرتها

فنهضت، فلم تكد تخرج يديها واستوت قائمة ولحقتهما حتى ساخت يداها».

وناديتهما بالأمان فوقفا. . . وعندما دنوت منهما قلت لرسول الله: «إن قومك قد جعلوا فيك الدية. . وأخبرتهما ما يريد الناس بهما، وسألته أن يكتب لي كتاب أمن» ثم قال النبي ﷺ: (كيف بك إذا لبست سوار كسرى؟؟).

وعاد سراقة إلى مكة. .

وفتح الله على المسلمين بلاد فارس في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وغنم المسلمون أموال كسرى، فلما أتى بسوار كسرى وتاجه ومنطقته، دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه سراقة، فألبسه السوارين وقال: «ارفع يديك وقل الله أكبر، الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك أعرابياً من بني مدلج».

صدق رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام.

عمرو بن عبيد

وصفه إمام الزهاد الناسك السماك فقال: «كان عمرو بن عبيد إذا رأيته مقبلاً توهمته جاء من دفن والديه، وإذا رأيته جالساً توهمته جالساً للقَودَ، وإذا رأيته متكلماً توهمت أن الجنة والنار لم يخلقا إلاَّ له».

وسئل عنه الحسن البصري فقال للسائل: «لقد سألت عن رجل كأن الملائكة أدبته، وكأن الأنبياء ربته. إن قام بأمر قعد به، وإن

قعد بأمر قام به، وإن أمر بشيء كان ألزم الناس له، وإن نهى عن شيءٍ كان أترك الناس له. ما رأيت ظاهراً أشبه بباطن منه، ولا باطناً أشبه بظاهر منه».

وكان عمرو بن عبيد صديقاً لأبي جعفر المنصور الخليفة العباسي قبل أن يلي الخلافة، فلما وليها طلب إليه أن يعينه بأصحابه، فقال له عمرو: ارفع علم الحق يتبعك أهله».

وكان المنصور ينظر إليه وهو خارج من عنده، وقد عرض عليه الدنيا فرفضها، فيقول:

«كلكم يمشي رويد
كلكم يطلب صيد
غير عمرو بن عبيد»

رضي الله عن عمرو بن عبيد وأرضاه.



سَيد الزهَاد

١ـ يروي أنس بن مالك رضي الله عنه، أنّ فاطمة بنت النبي ﷺ جاءت بكِسْرةِ خبز إلى النبي ﷺ، فقال لها: (ما هذه الكسرة يا فاطمة؟، قالت: «قرص خبزته فلم تطب نفسي حتى آتيك بهذه الكسرة»، فقال النبي ﷺ: أما إنه أول طعام دخل فم أبيكِ منذ ثلاثة أيام).

٢ـ وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ كان يشد صلبه بالحجر من الجوع. وكانت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها تبكي بعد فراق رسول الله ﷺ، فقيل لها: ما يبكيك يا أم المؤمنين؟ فتقول: (ما أشبع فأشاء أن أبكي إلا بكيت، وذلك لأن رسول الله ﷺ كانت تأْتي عليه أربعة أشهر ما يشبع من خبز بُرْ).

٣ـ وخطب رسول الله ﷺ فقال: (والله ما أمسى في آل محمد صاع من طعام)، قال راوي الحديث: وإنها لتسعة أبيات، والله ما قالها استقلالاً لرزق الله، ولكن أراد أن تتأسى به أمته.

٤ـ وفي حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (مات رسول الله ﷺ وما في بيتي شيء يأْكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي، وقال لي ﷺ: إني عرض عليّ أن تجعل لي بطحاًء مكة ذهباً، فقلت: لا يارب! أجوع يوماً، وأشبع يوماً. فأما اليوم الذي أجوع فيه، فأتضرع إليك وأدعوك. وأما اليوم الذي أشبع فيه، فأحمدك وأثني عليك).

٥ـ وفي حديث حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: (كان فراش رسول الله ﷺ في بيته مسحاً نثنيه له ثنيتين فينام عليه،

فثنيناه له ليلة بأربع، فلما أصبح قال: ما فرشتموا لي الليلة؟ فذكرنا ذلك فقال: ردوه بحاله فإنَّ وطأَته منعتني الليلة صلاتي).

٦ـ وتقول عائشة رضي الله عنها: (لم يملىء جوف النبي ﷺ شبعاً قط، ولم يبث شكوى إلى أحد.

وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى، وإن كان ليظل جائعاً يتلوى طوال ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه، ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها. ولقد كنت أبكي له رحمة مما أرى به، وأمسح بيدي على بطنه مما به من الجوع وأقول: نفسي لك الفداءُ، لو تبلَّغت من الدنيا بما يقوتك! فيقول: يا عائشة! مالي وللدنيا.. إخواتي من أولى العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا، فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم، فأكرم مآبهم، وأجزل ثوابهم فأجدني أستحي إن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غداً دونهم، وما من شيء هو أحب إِليَّ من اللحوق فإخواني وأخلائي».

قالت عائشة رضي الله عنها: «فما أقام بعد إلا شهراً، حتى توفي ﷺ».

الصدِّيق الزاهد (أبو بكر)

١ـ روى زيد بن أرقم، أن أبا بكر رضي الله عنه استسقى، فأُتي بإناء فيه ماء وعسل، فلما أدناه من فِيهِ بكى وأَبكى مَنْ حوله، فسكت وما سكتوا. ثم عاد فبكى حتى ظنوا أَلاَّ يقدروا على مساءَلته، ثم مسح وجهه وأَفاق، فقالوا: ما هاجك على البكاءِ؟! قال: كنت مع النبي ﷺ، وجعل يدفع عنه شيئاً ويقول:

إليك عني. . . إليك عني. . . ولم أَرَ معه أَحداً! فقلت: يا رسول الله! أَراك تدفع عنك شيئاً ولا أَرى معك أَحداً؟ قال: هذه الدنيا تمثلت لي بما فيها، فقلت لها: إليك عني! فتنحّت وقالت: أَما والله لئن انفلت مني لا ينفلت مني مَنْ بعدك! فخشيت أَنْ تكون قد لحقتني، فذاك الذي أَبكاني».

٢ـ وروى زيد بن أَرقم عن أَبيه قال: «سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: أَمرنا رسول الله ﷺ أَن نتصدق، ووافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أَسبق أَبا بكر إن سبقته يوماً. قال: فجئت بنصف مالي، فقال لي رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله. وأَتى أَبو بكر بكلِّ ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: ما أَبقيت لأهلك؟ قال: أَبقيت لهم الله ورسوله. قلت: لا أُسابقك إلى شيء أبداً».

٣ـ وفي حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «دخلت على أبي بكر رضي الله عنه في مرضه الذي توفي فيه، فسلّمت عليه فقال: رأَيت الدنيا قد أَقبلت ولم تقْبِل، وهي جائية، وستتخذون ستور حرير ونضائد الديباج، والله لئن يُقَدَّم أَحدكم فتضرب عنقه في غير حد، خيرٌ له من أن يخوض غمرات الدنيا».

٤ـ لقد أَنفق أَبو بكر الصديق رضي الله عنه كل ماله في سبيل الله، ومات متخللاً بعباءَته.

الفاروق الزاهد (عمر)

١ـ في حديث حفصة أُم المؤمنين رضي الله عنها، أَنه لما اتَّسع على الناس الرزق في عهد عمر رضي الله عنه، وكثر المال قالت

له: «يا أمير المؤمنين! لو لبست ثوباً هو أَلين من ثوبك، وأكلت طعاماً هو أَطيب من طعامك؟ فقد وسع الله عزّ وجلّ في الرزق وأكثر من الخير». فقال عمر رضي الله عنه: «إني سأُخاصمك إلى نفسك، أَما تذكرين ما كان يلقى رسول الله ﷺ من شدة العيش؟»، فما زال يذكرها حتى أَبكاها فقال لها: «والله إن قلت ذلك، أَما والله لئن استطعت لأُشاركهما ـ يعني النبي ﷺ والصدِّيق رضي الله عنه ـ بمثل عيشهما الشديد، لعليَّ أُدرك معهما عيشهما الرخي».

٢ـ وفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «قد علمت بأَي شيء فضلنا عمر، كان أَزهدنا في الدنيا».

٣ـ ويروى أَن عمر رضي الله عنه لما قدم الشام صُنع له طعام من أطيب الأطعمة، فقال: «هذا لنا، فما لفقراءِ المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير؟». فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه: «لهم الجنة!»، فاغرورقت عينا عمر بالدموع، وقال: «لئن كان حظنا في هذا الطعام وذهبوا بالجنة لقد باينونا بونا بعيداً».

٤ـ وقال الأحنف بن قيس رضي الله عنه: «أَخرجنا عمر في سرية إلى العراق وبلاد فارس وخراسان، فحملنا معنا ـ واكتسينا، فلما قدمنا على عمر أَعرض عنا بوجهه وجعل لا يكلمنا، فاشتدّ ذلك علينا، فشكونا ذلك إلى ولده عبد الله، فقال: رأى عليكم لباساً لم يلبسه رسول الله ﷺ ولا الخليفة الصّديق من بعده. فأَتينا منازلنا، فنزعنا ما كان علينا، وأَتينا في البزة التي يعهدها منا،

فقام فسلَّم علينا رجلاً رجلاً، واعتنقنا رجلاً رجلا، حتى كأنه لم يرنا».

٥ـ وكان عمر رضي الله عنه يخطب الناس وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة.

ويقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «رأيت لعمر رضي الله عنه، إزاراً فيه إحدى وعشرون رقعة من جلد ورقعة من ثيابنا».

٦ـ وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: «والله ما شمل النبي ﷺ في بيته ولا خارج بيته ثلاثة أثوب، وما شمل أَبا بكر في بيته ثلاثة أَثواب، غير أَني كنت أرى كساهم إذا أَحرموا: كان لكل واحد منهم مئزر ومشتمل لعلها كلها بثمن درع أَحدكم. والله لقد رأيت النبي ﷺ يرقع ثوبه، ورأيت أَبا بكر يخلل بالعباءَة، ورأيت عمر يرقع جبته رقاع من أَدم وهو أَمير المؤمنين».

٧ـ ويروي ابن الجوزي عن سنان بن الدؤلي قال: «دخلت على عمر وعنده نفر من المهاجرين، فأَرسل عمر إلى سفط أُتي به من قلعة من العراق، وكان فيه خاتم، فأَخذه بعض بنيه، فأَدخله في فِيه، فانتزعه عمر منه ثم بكى، فقال مَنْ عنده من المهاجرين: تبكي وقد فتح الله عليك وأَظهرك على عدوك وأَقَرَّ عينك؟! فقال عمر رضي الله عنه: «إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تفتح الدنيا على أُمة إلاَّ أَلقى الله بينهم العداوة والبغضاءَ إلى يوم القيامة، وأَنا أُشفق من ذلك».

ذو النورين الزاهد (عثمان)

أما ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقد كان منذ نعومة أَظفاره في نعمة سابغة ورخاءٍ عميم، ولكنه منذ اعتنق الإسلام وهب له نفسه ودنياه، فكان يعطي عطاءَ مَنْ لا يخشى الفقر: يطعم الناس طعام الإمارة، ويدخل بيته فيأُكل الخلّ والزيت

ولما حثّ النبي ﷺ على تجهيز جيش العُسرة قال عثمان رضي الله عنه: «عليَّ مائة بعير بأَحلاسها وأَقتابها». ثم حثّ النبي ﷺ، فقال عثمان: «عليَّ مائة أُخرى بأَحلاسها وأَقتابها». ثم حث النبي ﷺ، فقال عثمان: «عليَّ مائة أُخرى بأَحلاسها وأَقتابها». ثم جاء بأَلف دينار ونثرها بين يدي رسول الله ﷺ؛ فجعل رسول الله ﷺ يقلِّب الدنانير وهو يقول: «ما يضر عثمان ما فعل بعد هذا اليوم».

لقد جَهَّز عثمان رضى الله عنه جيش العسرة، واشترى بئر رومة وجعلها للمسلمين، واشترى الأَرض التي عليها المسجد النبوي ووهبها للمسلمين، وأَنفق أَكثر ماله في سبيل الله.

الإمام الزاهد (علي)

١ ـ حدّث علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعض أَصحابه عنه وعن زوجه البتول فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت النبي ﷺ فقال: «كانت أكرم أَهله[١] عليه، وكانت زوجتي فجرت بالرحى حتى أَثرّ الرحى بيدها، واستقت بالقربة حتى أثَرت القربة بنحرها، وقمت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دنست

(١) يريد: أكرم أهل النبي ﷺ.

ثيابها، فأَصابها من ذلك ضر. وقدم على رسول الله ﷺ سبي، فقلت لها: انطلقي إلى رسول الله ﷺ فسليه خادماً يقيك ضر ما أَنت فيه، فذهبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ حين أَمست، فقال لها رسول الله ﷺ: ما لك يا بُنّية؟ قالت: لا شيء: جئت لأُسلّم عليك! واستحْيَت أَن تسأَل شيئاً، فلما رجعت قال لها عليٌّ: ما صنعتِ؟ قالت: لم أَسأَله شيئاً واستحييت منه. ثم أَمرها عليٌّ أَن ترجع إلى رسول الله ﷺ، فرجعت ولم تسأَله شيئاً. فلما كانت الليلة الثالثة ذهب عليٌّ وذهبت معه فاطمة رضي الله عنهما، إلى رسول الله ﷺ، فقال لهما: ما أَتى بكما؟ فقال عليُ: يا رسول الله: أَشق علينا العمل، فأَردنا أَن تعطينا خادماً نتقي به العمل. فقال لهما رسول الله ﷺ: هل أَدلكما على خير لكما من حُمر النعم؟ قال عليٌ: يا رسول الله! نعم. قال: تكبيرات وتسبيحات وتحميدات مئة حين تريدان أَن تناما، فتبيتان على أَلف حسنة، ومثلها حين تصبحان، فتقومان على أَلف حسنة».

٢ـ ومن حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يا علي! إن الله تعالى قد زينّك بزينة لم تزّين العباد بزينة أَحب إلى الله تعالى منها، هي زينة الأَبرار عند الله عزّ وجلّ: الزهد في الدنيا، فجعلك لا ترزأَ من الدنيا شيئاً، ولا ترزأَ الدنيا منك شيئاً، ووهب لك حب المساكين، فجعلك ترضى بهم أَتباعاً ويرضون بك إماماً».

٣ـ وفي قصة ضرِار الصدائي أَحد خاصة أَصحاب علي رضي الله عنه في مجلس معاوية بن أَبي سفيان رضي الله عنه، أَصدق تمثيل لحياة الإمام الزاهد. قال الرواة: دخل ضِرَارُ بن ضمرة على

معاوية رضي الله عنهما، فقال له: صف لي علياً. قال ضرار: أَو تعفيني يا أَمير المؤمنين قال: لا أَعفيك. قال: إذا لا بدَّ فإنه كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، تنطلق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأْنس بالليل وظلمته. كان والله غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلِّب كفه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما جَشَبَ. كان والله كأَحدنا، يدنينا إذا أَتيناه، ويُجيبنا إذا سأَلناه، وكان مع تقربه إلينا، وقربه منا، لا نكلمه هيبةً له، فإن تبسّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، ويعظِّم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوى في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله. فأَشهد له، رأيته في بعض مواقفه وقد أَرخى الليل سدوله وغارت نجومه، يقف في محرابه قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكى بكاء الحزين فكأني أَسمعه الآن وهو يقول: يا ربنا.. يا ربنا! ـ يتضرع إليه ـ ثم يقول: يا دنيا! إليَّ تغررت!!.. إليَّ تعرضت! إلي تشوّقت!؟!.. هيهات.. هيهات.. غُرِي غيري، لقد بتتك ثلاثاً، فعمرك قصير، ومجلسك حقير، وخطرك يسير! آه... آه... من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق...!.

قال: فوكفت دموع معاوية رضي الله عنه على لحيته ما يملكها، وجعل ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاءِ، فقال معاوية رضي الله عنه: كذا كان أَبو حسن رحمه الله؟ كيف وَجْدُك عليه يا ضرار؟ قال وَجْد مَنْ ذبح ولدها في حجرها، لا ترقأَ دمعتها، ولا يسكن حزنها. ثم قام ضرار فخرج من المجلس.

زهد القادرين

١ـ هؤلاءُ الخلفاءُ الراشدون فُتحت عليهم الدنيا وملكوا خزائن الأَرض، فكانت الدنيا في أَيديهم لا في قلوبهم، وكان زهدهم زهد القناعة الواجدة، لا زهد الحرمان ولا زهد التبصر، ولم يمنعهم زهدهم أَن يجعلوا راية الإِسلام خفاقة شرقاً وغرباً. إن وجود الدنيا بحذافيرها في يد المؤمن دون أَن يعلق بها قلبه فتشغله عن ربه، هو في الحقيقة أَرفع درجات الزهد، ويليه في مراتب الزهد زهد الرضا لغير واجدي الدنيا الصابرين الصادقين، الذين لا يغيّرهم الفقر ولا يبطرهم الغنى.

٢ـ وقد سمعت شيخاً يعظ الناس في الأَزهر الشريف سنة ١٣٧٤هـ، فقال: «رأيت اليوم أَحد معارفي، فقال: يا شيخ، طفت الدنيا وما فيها، وزهدت في متاعها! فقلت له: هل خلّف لك المرحوم والدك شيئاً؟ قال: لا. قلت: هل تملك من متاع الدنيا شيئاً؟ قال: لا. قلت: هل تعمل طلباً للرزق؟ قال: لا. قلت: والله إن الدنيا هي التي طلقتك وزهدت فيك، ولم تطلق أَنت الدنيا وتزهد فيها».

٣ـ وقال أَبو سعيد الفقيه: «كان لي جار يدعى: ابن الهبارية، وكان سكيراً لا يكاد يفيق من سكره، وكان يؤذيني حين يسكر في ضجيجه وصخبه. ومضى عام وجاري ساكت لا صوت له، فقلت لنفسي: لعلّ الله هداه. ورأَيته يوماً في السوق، فسأَلته: على يد أَي شيخ تبت؟ فقال:

يقول أَبو سعيد إذ رآني ... عفيفاً منذ عام ما شربتُ

على يد أَي شيخ تبت عاماً   فقلت: يا يد الإفلاس تبتُ

إِن الزهد الذي نريده هو زهد القادر لا زهد العاجز، وصدق رسول الله ﷺ: «إِنما الأعمال بالنيات، وإِنما لكل أمرىء مانوى. . .». الحديث الشريف.

☆☆☆

صدقات طلحَة

١ـ كان طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه من العشرة المبشرين بالجنة، وكان من أوسع الناس ثراءً وأكثرهم مالاً.

دخل على زوجه سعدى بنت عوف المرية يوماً وهو مغموم مهموم، فقالت له: مالي أراك كالح الوجه؟ ما شأنك؟ أرابكَ مني شيء فأعينك؟ قال: لا، ولِنعم خليلة المرءِ المسلم أنت.

قالت: ما شأنك؟ قال: المال الذي عندي قد كثر وكربني.

قال: وما عليك! اقسمه... فقسّمه حتى ما بقي منه درهم واحد.

قال راوي الحديث: فسألت خازن طلحة: كم كان المال؟

قال: أربعمئة ألف.

٢ـ وتقول سعدى زوج طلحة رضي الله عنهما: لقد تصدق طلحة يوماً بمئة ألف درهم، ثم حبسه عن الرواح إلى المسجد أن جمعت له بين طرفي ثوبه!.

٣ـ ويقول الحسن رضى الله عنه: باع طلحة أرضاً له بسبعمئة ألف، فبات ذلك المالك عنده ليلة، فبات أرقاً من مخافة ذلك المال، حتى أصبح ففرقه.

صدقات الزبير

١ـ الزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ وابن عمته ومن العشرة المبشرين بالجنة وأَحد قادة الفتح الإسلامي، كان من أكثر

الصحابة مالاً، وكان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، وما يُدخل بيته من خراجهم درهماً، يقسمه كلَّه، ثم يقوم من ليلته وليس معه منه شيءٌ.

٢ـ وروى أنه لما كان يوم (الجمل) جعل الزبير رضى الله عنه يوصي بدينه ابنه عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ويقول: يا بني!! إن عجزت عن شيء فاستعن عليه بمولاي قال ابنه: فوالله ما دريت ما أراد حتى قلت: يا أبت! من مولاك؟ فقال: الله. قال: فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلاّ قلت: يا مولى الزبير! اقض دينه، فيقضيه.

٣ـ وقتل الزبير رضي الله عنه يوم (الجمل) ولم يدع ديناراً ولا درهماً، إلاّ أرضين ودوراً، وإنما كان دينه الذي عليه، أن الرجل كان يأتيه بالمال، فيستودعه إياه، فيقول الزبير: لا، ولكنه سلف، فإني أخشى عليه الضيعة. فحسب ابنه عبد الله بن الزبير ما عليه من دين، فوجده ألفي ألف درهم، فقضاه.

فتنة السَراء

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه خال النبي ﷺ ومن العشرة المبشرين بالجنة، وبطل (القادسية)، وفاتح العراق يحدّث عن نفسه فيقول: لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ وما لنا طعام إلا ورق الشجر. ويقول: كنا قوماً يصيبنا ظلف العيش بمكة مع رسول الله ﷺ وشدته، فلما أصابنا البلاء مرنّا عليه وصبرنا. ولقد رأيتني مع رسول الله ﷺ بمكة خرجت من الليل أبول وإذا أنا أسمع بقعقعة

شيء تحت بولي، فإذا قطعة جلد بعير، فأخذتها فغسلتها، ثم أحرقتها، فوضعتها بين حجرين، ثم استففتها وشربت عليها الماء فقويت بها ثلاثاً.

وسعد رضي الله عنه ـ يروي بعد ذلك حديث رسول الله ﷺ حيث يقول: «لأنا في فتنة السراءِ أخوف عليكم مني في فتنة الضراء. . . . إنكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم وإن الدنيا حلوة خضرة».

صدق رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام.

الوالي الفقير

١ـ ولّى عمر بن الخطاب رضي الله عنه سعيد بن زيد الجمحي مدينة (حمص)، فخرج إلى عمله.

ولم يلبث إلا يسيراً حتى أصابته حاجة شديدة فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه، فبعث إليه بألف دينار.

ودخل على امرأته، وقال: إن عمر رضي الله عنه بعث إلينا بألف دينار.

فقالت: لو اشتريت لنا أُدماً وطعاماً وادخرت سائرها. فقال لها: أولا أدلُكِ على أفضل من ذلك؟ نعطي هذا المال من يتجر لنا فيه، فنأكل من ربحه وضمانها عليه. قالت: فنعم إذا. فاشترى أُدماً وطعاماً، واشترى بعيرين وغلامين يمتاران عليهما حوائجهم، ففرقها في المساكين وأهل الحاجة.

ولم يلبث إلا يسير حتى قالت له امرأته: إنه قد نفد كذا

وكذا، فلو أتيت ذلك الرجل فأخذت لنا من الربح فاشتريت لنا مكانه.

وسكت عنها سعيد، ثم عاودته فسكت عنها حتى آذته، فقال لها بعض أهلها: ما تصنعين؟! إنك قد آذيته، وإنه قد تصدق بذلك المال.

وبكت زوجه أسفاً على ذلك المال، فدخل عليها سعيد وقال:

على رسلك! إنه كان لي أصحاب فارقوني منذ قريب، ما أحسب أني صددت عنهم وأن لي الدنيا وما فيها.

وسمحت زوجه ورضيت.

٢ـ وقد شكا أهل (حمص) عاملهم سعيد بن زيد هذا، فجمع عمر رضي الله عنه بينهم وبينه. ثم سألهم: ما تشكون منه؟! قالوا: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار. قال سعيد: والله إن كنت لأكره ذكره ـ ليس لأهلي خادم، فأعجن عجيني، ثم أجلس حتى يختمر، ثم أخبز خبزي، ثم أوضأ ثم أخرج إليهم.

قال عمر رضي الله عنه: ما تشكون منه؟ قالوا: لا يجيب أحداً بليل قال: ما تقول؟ قال: إن كنت لأكره ذكره ـ إني جعلت النهار لهم، وجعلت الليل لله عزّ وجلّ.

قال عمر رضي الله عنه: وما تشكون منه؟ قالوا: إن له يوماً في الشهر لا يخرج فيه إلينا، قال: ما تقول؟ قال سعيد: ليس لي خادم يغسل يثابي، ولا لي ثياب أبدلها، فأجلس حتى تجف، ثم أدلكها، ثم أخرج إليهم من آخر النهار.

قال عمر رضي الله عنه: وما تشكون منه؟ قالوا يغنظ[1] الغنظة بين الأيام قال: ما تقول؟ قال: شهدت مصرع خبيب الأنصاري بمكة، وقد بضعت قريش لحمة ثم حملوه على جذعة فقالوا: أتحب أن محمداً ﷺ مكانك وأنت في أهلك؟ فقال: والله ما أحب أني في أهلي وولدي ومحمد ﷺ شيك بشوكة. ثم نادى: يا محمد فما ذكرت ذلك اليوم وتركي نصرته في تلك الحال وأنا مشرك لا أومن بالله العظيم، إلا ظننت أن الله عزّ وجلّ لا يغفر لي بذلك أبداً، فتصيبني تلك الغنظة.

فأقره عمر رضي الله عنه على عمله وبعث إليه بألف دينار.

الأمير الفقير

١ـ عُمير بن سعد أحد ولاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على (حمص)، وقد مكث حولاً لا يأتي خبره عمر، فقال عمر رضي الله عنه لكاتبه: «اكتب إلى عمير: إذا جاءك كتابي هذا فاقبل، وأقبل بما جبيت «من فيءِ المسلمين..»

وأخذ عمير جرابه فجعل فيه زاده وقصعته وعلق إداوته[2] وأخذ غزته[3]؛ ثم أقبل يمشي من (حمص) حتى دخل (المدينة) قال: فقدم وقد شحب لونه، وأغبر وجهه، وطالت شعرته، فدخل

---

(١) غنظه الأمر: جهده وشق عليه. والغنظ: الكرب والهم اللازم.

(٢) إداوة: إناء صغير يحمل فيه الماء.

(٣) الغزة: يتوكأ عليها الشيخ الكبير. أطول من العصا وأقصر من الرمح. في أسفلها زج كزج الرمح.

على عمر وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال: عمر رضي الله عنه: ما شأنك؟! قال عمير: ما ترى من شأني! ألست تراني صحيح البدن، معي الدنيا أجرها بقرونها. قال: وما معك؟ فظن عمر رضي الله عنه أنه جاء بمال ـ فقال: معي جرابي أجعل فيه زادي، وقصعتي، آكل فيها وأغسل فيها رأسي وثيابي، وإداوتي أحمل فيها وضوئي وشرابي، وغزتي أتوكأ عليها وأجاهد بها عدواً إن اعترض، فو الله ما الدنيا إلا تبع لمتاعي. قال عمر رضي الله عنه: فجئت تمشي؟! قال: نعم! قال: أما كان لك أحد يتبرع لك بدابة تركبها؟! قال: ما فعلوا وما سألتهم ذلك. قال عمر رضي الله عنه: فأين بعثتك؟ وأي شيء صنعت؟ قال: وما سؤالك يا أمير المؤمنين؟! قال عمر رضي الله عنه: سبحان الله! فقال عمير: أما لولا أني أخشى أن أغمك ما أخبرتك، بعثتني حتى أتيت البلد، فجمعت صلحاء أهلها، فوليتهم جباية فيئهم، حتى إذا جمعوه وضعته مواضعه، ولو نالك منه شيء لأتيتك به. قال: فما جئتنا بشيء. قال: لا. قال عمر رضي الله عنه: جددوا لعمير عهداً.

٢ـ واستأذن عمير عمر رضي الله عنه للرجوع إلى منزله، وكان بينه وبين المدينة أميال، فقال عمر رضي الله عنه حين انصرف عمير لأحد رجاله: انطلق إلى عمير بمئة دينار، فإن رأيت حاله شديدة فادفع إليه المال. وانطلق الرجل فإذا هو بعمير جالي يفلي قميصه إلى جانب الحائط، فقال له عمير: انزل رحمك الله! فنزل، ثم سأله: من أين جئت؟ قال: من المدينة. قال: فكيف

تركت أمير المؤمنين؟ قال: صالحاً. قال: فكيف تركت المسلمين؟ قال: صالحين. قال: أليس يقيم الحدود؟ قال: بلى... ضرب ابناً له أتى فاحشة، فمات من ضربه. فقال عمير: اللهم أَعِن عمر، فإني لا أعلمه إلا شديداً حبه لك.

ونزل الرجل ضيفاً على عمير ثلاثة أيام، وليس لهم إلا قرصة من شعير، كانوا يخصونه بها ويطوون، حتى أتاهم الجهد. فقال له عمير: إنك قد أجعتنا، فإن رأيت أن تتحول عنا فافعل.

وأخرج الرجل رسول عمر إلى عمير حينذاك الدنانير، ودفعها إليه، وقال: بعث بها إليك أمير المؤمنين، فاستعن بها. فصاح عمير: لا حاجة لي فيها.... ردها.... فقالت له امرأته: إن احتجت إليها، وإلا فضعها مواضعها. فقال عمير: والله مالي شيء أجعلها فيه. فشقت امرأته درعها فأعطته خرقة، فجعلها فيها، ثم خرج فقسمها بين أبناء الشهداء والفقراء.

٣ـ وحين كان عمير والياً على (حمص) كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أهلها: «اكتبوا لي فقراءكم»، فكتبوا إليه أسماء الفقراء وذكروا فيهم عمير بن سعد، فلما قرأ عمر رضي الله عنه اسمه قال: من عمير بن سعد؟! فقالوا أميرنا فقال «أو فقير هو؟!»، فقالوا؛ ليس أهل بيت أفقر منه!!... فقال عمر رضي الله عنه: فأَين عطاؤُه؟ فقالوا: يخرجه كله لا يمسك منه شيئاً. فوجه إليه عمر بمئة دينار، فأخرجها كلها إلى الفقراء، فقالت له امرأته. «لو كنت حبستَ لنا منها ديناراً واحداً!!»، فقال: «لو ذكرتني فعلت».

٤ـ وكان عمر رضي الله عنه يصف عميراً بأنه نسيج وحده.

قال عمر رضي الله عنه يوما لأصحابه: «ليتمن كل رجل منكم أُمنية، فقال رجل: وددت يا أمير المؤمنين أَنّ عندي مالاً، فأَعتق لوجه الله كذا وكذا».

وقال آخر: «وددت يا أمير المؤمنين أنّ لي مالاً فأنفقه في سبيل الله».

وقال آخر: «وددت لو أنّ لي قوة فأمتح بدلو زمزم لحجاج بيت الله».

فقال عمر: «وددت أنّ لي رجلاً مثل عمير بن سعد، استعين به في أعمال المسلمين».

رضي الله عن عمير بن سعد وأرضاه.

رجولة عَالم

١ـ روى الدارمي أبو محمد في مسنده عن الضحاك بن موسى قال: مرّ سليمان بن عبد الملك بالمدينة وهو يريد مكة، فأقام بها أياماً. وسأل: هل بالمدينة رجل أدرك أحداً من أصحاب النبي ﷺ؟ قالوا: أبو حازم، فأرسل إليه فلما دخل عليه قال له: يا أبا حازم ما هذا الجفاءُ؟

قال أبو حازم: يا أمير المؤمنين! وأيّ جفاء رأيت مني؟

قال سليمان: أتاني وجوه أهل المدينة ولم تأتني!

قال أبو حازم: يا أمير المؤمنين! أعيذك بالله أن تقول مالم

يكن ما عرفتني قبل هذا اليوم، ولا أنا رأيتك.

والتفت سليمان إلى محمد بن شهاب الزهري، فقال: أصاب، الشيخ وأخطأت.

قال سليمان: يا أبا حازم! مالنا نكره الموت؟

قال أبو حازم: لأنكم أخربتم الآخرة، وعمرّتم الدنيا، فكرهتم أن تنقلوا من العمران إلى الخراب.

قال سليمان: أصبت يا أبا حازم! فكيف القدوم غداً على الله تعالى؟

قال أبو حازم: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه. فبكى سليمان وقال: فليت شعري مالنا عند الله؟

قال أبو حازم: اعرض عملك على كتاب الله. قال سليمان: وأي مكان أجده؟ قال أبو حازم: ﴿إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم﴾.

قال سليمان: فأين رحمة الله يا أبا حازم؟

قال أبو حازم: ﴿رحمة الله قريب من المحسنين﴾.

قال له سليمان: يا أبا حازم: فأي عباد الله أكرم؟ قال أبو حازم: أولو المروءة والنهى. قال له سليمان: فأي الأعمال أفضل؟ قال أبو حازم: أداء الفرائض مع اجتناب المحارم ـ قال سليمان: فأي الدعاء أسمع ـ قال أبو حازم: دعاءُ المحسَن إليه للمحسِن.

قال سليمان: فأي الصدقة أفضل؟ قال أبو حازم: للسائل البائس وجهد المقل، ليس فيها مَنٌّ ولا أذى.

قال سليمان: فأيُّ القول أعدل؟ قال أبو حازم: قول الحق عند مَنْ تخافه أو ترجوه.

قال سليمان: فأيُ المؤمنين أكيس؟ قال أبو حازم: رجل عمل بطاعة الله ودلَّ الناس عليها.

قال سليمان: فأي المؤمنين أحمق؟ قال أبو حازم: رجل انحطَّ في هوى أخيه وهو ظالم، فباع آخرته بدنيا غيره.

قال له سليمان: فكيف لنا أن نصلح؟

....

قال أبو حازم: تدعون الصلف، وتمسكون بالمروءة، وتقسمون بالسوية.

قال له سليمان: فكيف لنا بالأخذ به.

قال أبو حازم: تأخذه من حلِّه، وتضعه في أهله.

قال له سليمان: هل لك يا أبا حازم أن تصحبنا، فتصيب منا ونصيب منك.

قال أبو حازم: أعوذ بالله...!!

قال له سليمان: ولِمَ ذاك؟!

قال أبو حازم: أخشى أن أركن إليكم شيئاً قليلاً، فيذيقني الله ضعف الحياة وضعف الممات.

قال له سليمان: يا أبا حازم ارفع إلينا حوائجك.

قال أبو حازم: تُنجيني من النار وتدخلني الجنة.

قال سليمان: ليس ذلك إليّ.

قال أبو حازم: فما لي إليْك حاجة غيرها.

قال له سليمان: فادع لي. قال أبو حازم: اللّهم إن كان سليمان وليُّك، فيسره لخير الدنيا والآخرة وإن كان عدوك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى.

قال له سليمان: فقط؟! قال أبو حازم: قد أوجزت وأكثرت إن كنت من أهله وإن لم تكن من أهله فما ينبغي أن أرمي عن قوس لا وتر لها.

قال له سليمان: أوصني! قال أبو حازم: سأوصيك وأوجز... عظِّم ربك، ونزهه أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك.

فلما خرج أبو حازم من عند سليمان بن عبد الملك، بعث إليه بمئة دينار، وكتب إليه، أن انفقها ولك عندي مثلها كثير... فردها عليه أبو حازم وكتب إليه: يا أمير المؤمنين؟! أعيذك بالله أن يكون سؤالك إيّاي هزلاً، أو ردي عليك بذلاً، وما أرضاها لك، فكيف أرضاها لنفسي؟!.

وكتب إليه إن موسى بن عمران (عليه السلام) لما ورد ماء (مَدينَ) وجد عليه رعاءً يسقون، ووجد من دونهم جارتين تذودان، فسألهما: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ

﴿يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: ٢٣ـ ٢٤]، ذلك لأنه كان جائعاً خائفاً لا يأمن، فسأل ربه ولم يسأل الناس، فلم يفطن الرعاء، وفطنت الجاريتان، فلما رجعتا إلى أبيهما أخبرتاه بالقصة وبقوله، فقال أبوهما وهو شعيب عليه السلام ـ ـ هذا رجل جائع. وقال لإحداهما: اذهبي فادعيه، فلما أتته عَظَّمْتُه وغَطَّت وجهَهَا وقالت: ﴿إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ فشق على موسى ذكر، أجرما ولم يجد بداً من أن يتبعها، لأنه كان بين الجبال جائعاً مستوحشاً. . . . . وحين دخل موسى ـ عليه ـ إذا هو بالعشاء مهيأ، فقال له اجلس يا شاب فتعشَّ! فقال له موسى! أعوذ بالله! فقال له: لِمَ؟! أما أنت جائع؟ قال موسى: بلى، ولكني أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيت لهما، وإنّا من أهل بيت لا نبيع شيئاً من ديننا بملء الأرض ذهباً. فقال: لا يا شاب! ولكنها عادتي وعادة آبائي، نُقري الضيف ونطعم الطعام، فجلس موسى وأكل.

قال أبو حازم في كتاب إلى سليمان: فإن كانت هذه المئة دينار عوضاً لما حدّثت، فالميتة والدم ولحم الخنزير في حال الاضطرار أحل من هذه. وإن كان لحقٍّ في بيت المال، فلي فيها نظراُء، فإن ساويت بيننا، وإلا فليس لي فيها حاجة.

لقد كان أبو حازم عليه رضوان الله يعد العلم (عبادة) ولا يعدُّه

(تجارة)، ولذلك عرف مكانة العلم والعلماء وحرصه على عزة العلم والعلماء، رضي الله عنه وأرضاه.

قال رسول الله ﷺ: «لا يمنعَن أحدكم هيبة الناس أن يقول في حق إذا رآه أو شهده أو سمعه»[1].

وفي التنزيل العزيز: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾

دعَاء للمريض

١ـ عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول:

«اللَّهم إني أعوذ بك من الفسوق والشِّقاق والنِّفاق والسُّمعة والرياءِ، وأعوذ بك من الفقر والكفر والصَّمَمِ والبَكَمِ والجُنونِ والجُذامِ وسيىء الاسقامِ»[2].

٢ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنَا مع رسول الله ﷺ في المسجد، حتى إذا طلعت الشمس خرج رسول الله ﷺ واتبعه فقال: «انطلق بنا حتى ندخل على فاطمة بنت محمد ﷺ»، فدخلنا وإذا هي نائمة مضطجعة فقال: «يا فاطمة! ما ينيمك هذه السَّاعة؟!». قالت: مازلت منذ البارحة محمومة. قال: «فأين الدعاءُ الذي علمتكِ؟ قالت: نسيت، قال: قولي.

«يا حيُّ يا قيوم، برحمتك أستغيث، أصْلِح لي شأْني كلَّه وَلاَ

---

(١) رواه الإمام أحد في مسند ١٠٥٩٤ في كتاب باقي مسند الكثرين.

(٢) رواه الحاكم في المسندرك ١/١٢ الحديث ١٩٤٤، والطبراني مع المعجم الصغير.

تكِلْني إلى نَفْسِي طَرفةَ عَين ولا إلى أحد من الناس»[1].

٣ـ وعن ميمونة بنت أبي عسيب مولاة رسول الله ﷺ، أن امرأة من جرش أتت رسول الله ﷺ على بعير، فنادت يا عائشة أعينني بدعوة من رسول الله ﷺ تسكينني ـ أو تطمئنني ـ قالت لها: ضعي يدك اليمنى على فؤَادك فامسحيه وقولي:

«بسمِ الله. اللَّهم داوني بدوائك، واشفِني بشفائك، واغنني بفضَلك عمَّن سواك، واحدُر[2] عني أذاك»[3].

٤ـ وكان رسول الله ﷺ يقول:

«أعوذ بعزَّة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»[4].

٥ـ وكان الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه كلما أصيب بمرض أو محنة يقول.

«اللهم أنت لها ولكل عظيمة، ففرجها عني».

☆☆☆

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الصغير ١/ ٢٧٠ الحديث رقم ٤٤٤.
(٢) أحدُر: أزل.
(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٢٥/ ٣٩ الرشيد رقم ٧٢.
(٤) رواه ابن ماجه برقم ٣٥١٣ في كتاب الطب.

سَيد الشجعان

١ـ قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: «حضرتهم يريد ـ حضرت قريشاً ـ وقد اجتمع أشرافهم يوماً بالحجر ـ الحجر حجر الكعبة، وهو ما تركته قريش في بنائها من أساس إبراهيم عليه السلام، وحجرت على الموضع ليعلم أنه من الكعبة، فسمى حجراً لذلك ـ فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثلما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط: سفّه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرّق جماعتنا، وسب آلهتنا.... لقد صبرنا منه على أمر عظيم، فبينما هم في ذلك، إذ طلع رسول الله ﷺ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مرّ بهم طائفاً بالبيت، فلما مرّ بهم غمزوه[1] ببعض القول، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ. ثم مضى، فلما مرّ بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ. ثم مرّ بهم الثالثة، فغمزوه بمثلها، فوقف ثم قال: أتسمعون يا معشر قريش!؟ أما والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بالذبح!.. فأخذت القومُ كلمتهُ، حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى أن أشدهم فيه وصاة[2] قبل ذلك ليرفؤه ـ[3] حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، فوالله ما كنت جهولاً!!! فانصرف رسول الله ﷺ، حتى إذا كان الغد اجتمعوا في

(١) غمزوه: طعنوا فيه.

(٢) الوصاة: الوصية.

(٣) يرفؤه: يهدئه ويسكنه ويرفق به ويدعو له ـ بأحسن ما يجد من القول.

(الحجر) وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم، وما بلغكم عنه، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه! فبينما هم في ذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، وأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا، لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم، فيقول رسول الله ﷺ: نعم! أنا الذي أقول ذلك».

كان ذلك أيام ضعف المسلمين قبل الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة وقبل إسلام حمزة عم النبي ﷺ.

٢ـ حين اشتد أُوار القتال يوم (بدر)، نزل الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام بنفسه ليقود صفوف المسلمين ويباشر القتال، فلم يكن أحد من المسلمين أقرب منه إلى العدو. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لما كان يوم (بدر). اتقينا المشركين برسول الله ﷺ، وكان أشد الناس بأساً، وما كان أحد أقرب إلى المشركين منه».

وقال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «كنا إذا اشتد الخطب وأحمرت الحدق، اتقينا برسول الله ﷺ؛ وقد رأيتني يوم (بدر) ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو».

ويوم (أُحُد) ثبت النبي ﷺ مع أربعة عشر رجلاً: سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار.

وقاد الرسول القائد صلوات الله عليه وسلامه رجاله ورمى بنفسه عن قوسه، حتى تحطمت القوس، حتى استطاع إنقاذ المسلمين من فناء أكيد.

وفي غزوة (الأحزاب) والمدينة النبوية محاصرة من عشرة آلاف رجل من المشركين، ثم نكث يهود بني (قريظة) وانضموا إلى المشركين، فتحرج موقف المسلمين كثيراً، إذ أصبح الخطر يتهددهم من داخل المدينة ومن خارجها.

في ذلك الموقف الرهيب الذي وصفه القرآن الكريم فقال:

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الأحزاب: ١٠ـ ١٢].

في هذا الموقف العصيب ثبت الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ثبات الجبال الشم الراسيات، لا يتزعزع ولا يريم، واثقاً بالله معتمداً عليه معتداً به، يقاتل كما يقاتل أصحابه ويحفر كما يحفرون، ويحرس كما يحرسون، ويسهر كما يسهرون، بل كان يستأثر بالخطر ويؤثرهم بالأمن، ثم يحرّضهم على القتال، ويبشرهم بالنصر أو الجنة.

٣ـ ويوم (حُنين)، هاجم المشركون المسلمين من كل جانب فانكشفت الخيل، وتبعهم أهل مكة، وتبعهم الناس منهزمين.

ولكن الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ثبت وثبت معه نفر قليل من أصحابه وأهل بيته لا يزيدون على العشرة رجال.

وأخذ النبي ﷺ ينادي الناس إذ يمرون به منهزمين: «أين أيها الناس؟! هلموا إليَّ، أنا رسول الله! أنا محمد بن عبد الله!..»

وتقدم عليه أفضل الصلاة والسلام على بغلته البيضاء يركضها نحو العدو وهو يقول:

أنـــا النبـــي لا كـــذب   أنـــا ابـــن عبـــد المطلـــب

وأمر ﷺ عمه العباس رضي الله عنه أن ينادي «يا معشر الأنصار!! يا أصحاب البيعة يوم الحديبية».

واشتد القتال، وتقدم الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام برجال، ففرَّ المشركون واستسلم كثير منهم أسرى، فلما عاد الذين هربوا من المسلمين، وجدوا الكثيرين من المشركين أسرى مصفدين بالأغلال.

ولولا ثبات النبي ﷺ، لأصيب المسلمون يومئذ بكارثة عسكرية، ولصدق القائل حين رأى انهزام المسلمين: «لا تنتهي هزيمتهم دون البحر».

٤ـ قال البَراء بن عازب رضي الله عنه: «كنا إذا حمي البأْس، نتقي برسول الله ﷺ، وإن الشجاع الذي يحاذى به»[(١)].

وأخرج الشيخان واللفظ لمسلم عن أنس رضي الله عنه قال «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أشجع الناس. وقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة رضي الله عنه عرى، وفي عنقه السيف، وهو يقول: لم

---

(١) رواه البخاري.

تراعوا. . . لم تراعوا. . . ».

لقد كان عليه أفضل الصلاة والسّلام، يقود رجاله من (الأمام)، يقول لهم: اتبعوني. . . اتبعوني».

ولم يكن يقودهم من (الخلف)، يقول لهم: تقدموا تقدموا. . . »، ثم يأوي إلى مقر آمن مريح.

لذلك استحوذ بشجاعته وإقدامه بمثاله الشخصي الذي يضربه لرجاله في الشجاعة والإقدام، ببذله بتضحيته، باستئثاره بالأخطار وإيثار أصحابه بالأمن. . استحوذ بكل ذلك وأكثر على (ثقة) رجاله، فقادهم من نصر إلى نصر ومن فتح إلى فتح، حتى شمل الإسلام في حياته شبه الجزيرة العربية، فوحد العرب تحت لواء الإسلام.

فلما التحق بالرفيق الأعلى، وجدت القوة المؤمنة التي رباها النبي ﷺ (متنفساً) في الفتح الإسلامي العظيم.

صلى الله وسلم على سيدي ومولاي رسول الله، سيد القادات وقائد السادات، رجل الرجال، وبطل الأبطال، قدوة المؤمنين وإمام المجاهدين، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

سيِّد العبَّاد

١ـ قال أبو زَمعة بن كعب الأسلمي: «كنت أَبيت عند حجرة النبي ﷺ، فكنت أَسمع إذا قام من الليل: (سبحان الله ربِّ العالمين) الهَوِيَّ[1] من الليل، ثم يقول: (سبحان الله وبحمده) الهوِي.

٢ـ وقال المغِيرة بن شعبة: «قام رسول الله ﷺ حتى تَورَمَتْ قدماه، فقيل: «يا رسول الله! قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخَّر، قال: أفلا أكون عبداً شكوراً».

٣ـ حدَّث مُطَرِّف بن عبد الله عن أبيه قال: «أَتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي، ولجوفه أَزير كأزير المِرجل».

وصف زاهد

قال ابن السّماك يوم مات داود الطائي: إنَّ داود رحمه الله نظر بقلبه إلى ما بين يديه من آخرته، فأغشى بصرُ القلب بصرَ العين، فكان كأنه لا ينظر إلى ما إليه تنظرون، وكأنكم لا تنظرون إلى ما إليه ينظر، فأنتم منه تعجبون وهو منكم يعجب، فلما رآكم راغبين مذهولين مغرورين قد أذهلت الدنيا عقولكم استوحش منكم، فكنت إذ نظرت إليه نظرت إلى حيٍّ وسط أموات، يا داود ما أعجب شأْنك بين أَهل زمانك! أَهنت نفسكَ وإنما تريد إكرامها، وأتعبتها وإنما تريد راحتها، أخشنت طِيبه وأَخشنت الملبس وإنما تريد لِينَه، ثم أَمتَّ نفسَك قبل أَن تموت، وقبرتَها قبل أَن تُقبر، وعذبتها ولما تُعَذب، وأَغنيتها عن الدنيا لكيلا تُذكَر، ورغبت

(١) الهوى بالفتح: الحين الطويل من الزمان، وقيل: هو مختص بالليل.

نفسك عن الدنيا فلم ترها لك قدراً إلى الآخرة، فما أَظنُّك إلا قد ظفرت بما طالبت. كان سيماك في سرِّك ولم يكن سيماك في علانيتك، تفَقَّهت في دينك وتركت الناس يغنُّون، وسمعت الحديثَ وتركتهم يحدِّثون، وخَرسْتَ من القول وتركتهم ينطقون. لا تحسد الأخيارَ، ولا تعيب الأشرار، ولا تقبل من السلطان عطِّية، ولا من الإخوان هدِّية. آنس ما تكون إذا كنتَ بالله خالياً، وأوحش ما تكون آنس ما يكون الناس، فمن سمع بمثلك وصبرُك وعزم عزمك إلا أَحسَبُكَ إلاَّ وقد أتعبت العابدين بعدك.. سجنْت نفسك في يتك فلا مَحدِّث لك ولا جليسَ معك، ولا فراش تحتك، ولا ستر على بابك، ولا قُلَّة يُبَرِّد فيها ماؤُك، ولا صفحة يكون فيها غداؤُك. مِطْهرَتُكَ[1] قلُبك وقَصْعتك تورُك[2].

داود! ما كنتَ تشتهي من الماء بارده، ولا من الطعام طيبه ولا من اللباس لينه، بلى! ولكن زَهِدْت فيه لما بين يديك، فما أَصغر ما بذلت، وما أحقر ما تركتَ في جنب ما أَمَّلتَ، فلما مِتَّ شَهَرَكَ ربُّك بموتك، وأَلبسك رداءَ عملك، وأَكثر تَبَعَك، فلو رأيتَ مَن حضرك عرفت أَن ربَّك قد أَكرمك وَشرَّفك، فلتتكلم اليوم عشيرتك بكل أَلسنتها فقد أَوضح ربك فضلها بك، والله لو لم يَدْعُ عبداً إلى خير بعمله إلاَّ حُسْنُ هذا النَّشر من كثرة هذا التَّبع، لقد كان حقيقاً بالاجتهاد والجهد لمن لا يضيع مطيعاً ولا ينسى صنيعاً شاكراً ومثيباً.

---

(١) المطهرة: كل إناء يتطهر منه، كالأبريق والسطل والركوة وغيرها.
(٢) التور: إناء صغير يتوضأ به.

العقاب العاجل

ذكر الفضل بن الربيع قال: صار إليّ عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير فقال: إنّ موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب قد أرادني على البيعة له، فجَمع الرشيد بينهما، فقال الزبيري لموسى: سعيتم علينا وأردتم نقض دولتنا، فالتفت إليه موسى فقال: ومَنْ أَنتم!! فغلب على الرّشيد الضحك حتى رفع رأسه إلى السقف حتى لا يظهر منه.

ثم قال موسى: يا أمير المؤمنين! هذا الذي ترى، المشنِّع عليّ، خرج والله مع أَخي محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليٍّ على جدِّك المنصور، وهو القائل في أبيات:

قوموا ببيعتكم ننهض بطاعتنا إنَّ الخلافة فيكم يا بني حسن

في شعر طويل، وليس سعاتيه يا أمير المؤمنين حباً لك، ولا مراءة لدولتك، ولكن بفضالنا جميعاً أهل البيت، ولو وجد مَن ينتصر به علينا جميعاً لكان معه. وقد قال باطلاً وأنا مستحلفه فإن حلف أَني قلت ذلك، فدمي لأمير المؤمنين حلال.

قال الرشيد: أحلف له يا عبد الله، فلما أراده موسى على اليمين تلكأ وامتنع، فقال له الفضل: لم تمتنع وقد زعمت آنفاً أَنه قال لك ما ذكرته؟!.

قال عبد الله: فأنا أحلف له.

قال موسى: قل تقلدتُ الحول والقوة دون حول الله وقوته إلى حولي وقوتي، إن لم يكن ما حكيته عني حقاً.

وحلف له عبد الله! فقال موسى: الله أكبر حدثني أبي عن جدي عن أبيه عن جدِّه عليّ عن رسول الله ﷺ أَنه قال: «ما حلف أحد بهذا اليمين وهو كاذب، إلا عجّل له العقوبة قبل ثلاث»، والله ما كَذَبتُ ولا كُذِبْتُ، وها أنا يا أمير المؤمنين بين يديك وفي قبضتك، فتقدّم بالتوكيل عليّ، فإن مضت ثلاثة أيام ولم يحدث على عبد الله بن مصعب حادث، فدمي لأمير المؤمنين حلال. فقال الرشيد للفضل: خذ بيد موسى فليكن عندك، حتى أَنظر في أمره.

قال الفضل: فوالله ما صلَّيت العصر من ذلك اليوم، حتى سمعت الصراخ من دار عبد الله بن مصعب، فأمرتُ من يتعرّف خبره، فعرفت أنه قد أَصابه الجُذَام، وأَن قد تورم واسود، فصرت إليه، فوالله ما كدت أَعرفه، لأنه صار كالزق العظيم، ثم اسود حتى صار كالفحم، فصرت إلى الرشيد فعرفته خبره، فما انقضى كلامي حتى أتى خبر وفاته. وبادرت بالخروج وأمرت بتعجيل أمره والفراغ من شأْنه، وتوليت الصلاة عليه. فلما دَلّوهُ في حفرته لم يستقر فيها حتى انخسفت به وخرجت منه رائحة مفرطة النتن، فرأَيت أَحمال شوك تمر في الطريق، فقلت: عليَّ بذلك الشَّوك، فأَتيت به، فطرح بذلك الوهدة، فما استقر حتى انخسفت ثانية، فقلت: عليّ بأَلواح ساج، فطُرحت على موضع قبره، ثم طرح التراب عليها.

وانصرفتُ إلى الرشيد، فعرفته الخبر وما عانيت من الأمر.

فأكثر التعجب من ذلك، وأمرني بتخلية موسى بن عبد الله رضي الله عنه وأَن أَعطيه أَلف دينار.

وأَحْضر الرشيد موسى فقال له: لِم عدلت عن اليمين المتعارفة بين الناس؟ قال: لأنّا روينا عن جدنا رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «مَنْ حلف بيمين مُجدّ الله فيها، استحيا الله من تعجيل عقوبته. وما من أحد حلف بيمين كاذبة نازع الله فيها حوله وقوته، إلاَّ عجَّلَ الله له العقوبة قبل ثلاث».

صدق رسول الله عليه أَفضل الصلاة والسلام.

السجين المظلوم

في أيام المتوكل العباسي حدث ببغداد كما ذكر المسعودي في تاريخه: مروج الذهب.

حدّث موسى بن صالح الأَسدي، أنه رأى في منامه كأن النبي ﷺ يقول له: «أَطلق القاتل»، فارتاع لذلك روْعاً عظيماً، ونظر في الكتب الواردة لأَصحاب الحبوس، فلم يجد فيها ذكر قاتل.

وأَمر باحضار السندي وعباس ـ وهما على الحبوس ـ وسألهما هل رفع إليهما أَحد ادّعى عليه بالقتل؟ فقال عباس: نعم، وقد كتبنا بخبره.

وأَعاد النظر، فوجد الكتاب في أَضعاف القراطيس، وإذا بالرجل قد شهد عليه بالقتل وأقر به، فأمر بإحضاره.

ودخل عليه الرجل، فرأى ما به من الارتياع، فقال له: «إن صدقتني أَطلقتك».

وابتدأ الرجل يخبر موسى بخبره، وذكر أنه كان هو وعدّة من

أصحابه يرتكبون كل عظيمة، ويستحلون كل محرّم، وأَنه كان اجتماعهم بمنزل في مدينة أَبي جعفر المنصور ـ جزء من بغداد ـ يعتكفون فيه على كل بلية؛ فلما كان في هذا اليوم، جاءَتهم عجوز كانت تختلف عليه للفساد، ومعها جارية بارعة الجمال، فلما توسّطت الجارية الدار، صرخت صرخة عظيمة، فبادرت إليها من بين أصحابي، فأدخلتها بيتاً وسكّنت روعها.

وسألتها عن قصتها فقالت: الله الله رميَّ، فإنَّ هذه العجوز خدعتني وأعلمتني أَنَّ في خزانتها حقاً لم يُرَ مثله، وشوقتني إلى النظر إلى ما فيه، فخرجت معها واثقة بقولها، فهجمت بي عليكم وجدي رسول الله ﷺ، وأمي فاطمة، وأبي الحسن بن علي، فاحفظوهم فِيِّ.

«قال الرجل: فضمنت خلاجها، وخرجت إلى أصحابي»، فعرفتهم بذلك فكأني أغريتهم بها، وقالوا: لما قضيت حاجتك منها أَردت صرفنا عنها.

وبادروا إليها، وقمت دونها أمنع عنها، فتفاقم الأمر بيننا إلى أن نالتني جراح، فعمدت إلى أشدهم في أَمره وأَكلبهم على هتكها، فقتلته، ولم أزل أمنع عنها إلى أَن خلصتها سالمة.

وتخلصت الجارية آمنة مما خافته على نفسها، فأخرجتها من الدار، فسمعتها تقول: «سترك الله كما سترتني، وكان لك كما كنتَ لي».

وسمع الجيران الضجّةَ، فتبادروا إلينا والسكين في يدي،

والرجل يتشحَط في دمه، فرفعت على هذه الحالة.

قال له موسى: قد عرفت ما كان من حفظك للمرأة، ووهبتك لله ورسوله.

قال السجين: فوحقِّ منْ وهبتني له، لا عاودت معصية ولا دخلت في ريبة، حتى ألقى الله.

وأخبره موسى بالرؤيا التي رآها، وأنّ الله لم يضيِّع له ذلك.

وعرض عليه براً واسعاً، فأبى قبول شيءٍ من ذلك!

لقد تاب توبة نصوحاً، وكانت توبتة لله تعالى فتساوى في نظره المال والتراب.

عقد اللؤلؤ

ذكر الحافظ ابن رجب الحنبلي[1]، أنّ الشيخ الصالح أبا القاسم الخرّاز الصوفي البغدادي قال: سمعت القاضي أبا بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد البزّار البغدادي الأنصاري يقول:

كنْت مجاوراً بمكة حرسها الله تعالى، فأصابني يوماً من الأيام جوعٌ شديد لم أجد شيئاً أدفع به عني الجوع، فوجدت كيساً من إبريسَم مشدوداً بشرَّابة من إبريسم أيضاً، فأخذته وجئت به إلى بيتي، فحللته فوجدت فيه عقداً من لؤلؤ لم أرَ مثله!.

وخرجت فإذا بشيخ ينادي عليه، ومعه خِرقة فيها خمس مئة

(١) ذيل طبقات الحنابلة (١ـ ١٩٦) ـ ترجمة القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي البغدادي المتوفي سنة ٥٣٥ هـ ببغداد.

دينار وهو يقول: هذا لمن يردُّ علينا الكيس الذي فيه اللؤلؤة فقلت: أنا محتاج، وأنا جائع، فآخذ هذا الذهب، فأنتفع به، وأردّ عليه الكيس.

فقلت له: تعال إليّ! فأخذته وجئت به إلى بيتي، فأعطاني علامة الكيس، وعلامة الشرَّابَة، وعلامة اللؤلؤ وعَدَده، والخيط الذي هو مشدود به، فأخرجته ودفعته إليه، فسلَّم إليَّ خمس مئة دينار، فما أخذتها، وقلت: يجب عَليّ أن أُعيده إليك ولا آخذ له جزاءً، فقال لي: لا بُدّ أن تأْخذ، وألحّ عليّ كثيراً، فلم أقبل ذلك منه، فتركني ومضى.

وأما ما كان مني، فإني خرجت من مكة وركبت البحر، فانكسر المركب وغرق الناس، وهلكت أموالهم، وسلمت أَنا على قطعة من المركب، فبقيتُ مدة في البحر لا أدري أين أذهب! فوصلت إلى جزيرة فيها قوم، فقعدت في بعض المساجد، فسمعوني أقرأُ، فلم يبقَ في تلك الجزيرة أحد إلا جاءَ إليّ وقال: علِّمني القرآن، فحصل لي من أولئك القوم شيء كثير من المال.

ثم إني رأيت في ذلك المسجد أوراقاً من مصحف، فأخذتها أقرأ فيها، فقالوا لي: تحسن تكتب؟! فقلت: نعم! فقالوا: علِّمنا الخط، فجاءُوا بأولادهم من الصبيان والشبان، فكنت أُعلِّمهم، فحصل لي أيضاً من ذلك شيء كثير، فقالوا لي بعد ذلك: عندنا صبية يتيمة ولها شيءٌ من الدنيا، نريد أن تتزوج بها، فامتنعت! فقالوا: لا بد! وألزموني فأجبتهم إلى ذلك.

فلما زُّفوها إليّ مددت عينيَّ أنظر إليها، فوجدت ذلك العِقْد بعينه معلقاً في عُنقها، فما كان لي حينئذ شغل إلا النظر إليه. فقالوا: يا شيخ! كَسرت قلب هذه اليتيمة، من نظرك إلى هذا العقد، ولم تنظر إليها، فقصصت عليهم قِصة العقد، فصاحوا وصرخوا بالتهليل والتكبير، حتى بلغ إلى جميع أهل الجزيرة! فقلت: مَا بكم؟؟ فقالوا: ذلك الشيخ الذي أخذ منك العقد هو أبو هذه الصبية، وكان يقول: ما وجدت في الدنيا مُسلِماً إلا هذا الذي ردَّ عليّ هذا العقد. وكان يدعو ويقول: اللهم أجمع بيني وبينه حتى أُزوِّجه بابنتي! والآن، قد حصَلَت...... فبقيت معها مدة ورزقت منها بولدين.

ثم إنها ماتت، فورثت العقد أنا وولداي، ثم مات الولدان، فحصل العقد لي، فبعته بمئة ألف دينار...

وهذا المال الذي ترونه معي، من بقايا ذلك المال.



إمام المسلمين وخيرهم وفاضلهم

رحل تَقيُّ بنَ مخْلَد الأندلسي (٢٠٥هـ ـ ٢٧٦هـ) إلى بغداد على قدميه، وكان جلّ بغيته ملاقاة الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه والأخذَ عنه.

قال: لما قربت من بغداد، اتَّصل بي خبر المحنة التي دارت على أحمد بن حنبل، وأنه ممنوع من الاجتماع إليه والسماع منه، فاغتممت بذلك غماً شديداً، فاحتللت الموضع، فلم أعرج على شيءٍ بعد إنزالي متاعي في بيت اكتريته في بعض الفنادق أن أتيت المسجد الجامع الكبير، وأنا أُريد أن أجلس إلى الخلْق وأسمع ما يتذاكرونه!.

ودفعت إلى حلقة نبيلة، فإذا برجل يكشف عن الرجال، فَيُضعِّف ويُقوِّي، فقلت منْ هذا؟ لمن كان قربي، فقال: هذا يحيى بن معين.

ورأيت فرجة قد انفرجت قربه، فقمت إليه، فقلت له أبا زكريا رحمك الله! رجل غريب نائي الدار، أردتُ السؤال فلا تستَخِفُّني! فقال لي قل! فسألته عن بعض مَنْ لقيت من أهل الحديث، فبعضاً زكّى، وبعضاً جرَّح!.

وسألته في آخر السؤال عن هشام بن عمار، وكنت قد أكثرت من الأخذ منه، فقال: أبو الوليد هشام بن عمار صاحب صلاة، دمشقيٌ، ثقة، وفوق الثقة، لو كان تحت ردائه كبر وتقلَّد كبراً ما ضرّ شيئاً لخيره وفضله.

وصاح أهل الحلقة: يكفيك رحمة الله علَيك، غيرك له سؤال!.

قلت وأنا واقف على قدمي: أكشفك عن رجل واحد: أحمد بن حنبل؟ فنظر إلي يحيى بن معين كالمتعجِّب وقال لي: ومثلنا نحن يكشِف عن أحمد بن حنبل!!! إن ذاك إمام المسلمين وخيرهم وفاضلهم.

ثم خرجت استدل على منزل أحمد بن حنبل، فدللت عليه. وقرعت بابه، فخرج إليّ وفتح الباب، فنظر إلى رجل لم يعرفه. فقلت: يا أبا عبد الله! رجل غريب الدار، هذا أول دخولي هذا البلد، وأنا طالب حديث ومُقيِّد سُنَّة - جامع سُنَّة - ولم تكن رحلتي إلا إليك. فقال: ادخل الأسطوان ولا تقع عليك عين.

وقال لي: أين موضعك؟ قلت: المغرب الأقصى؟ فقال: إفْرِيقَية؟ قلت أبعد من ذلك، أجوز من بلدي البحر، إلى إفريقَية، الأندلس. فقال: إن موضعك لبعيد!وما كان شيءٌ أَحب إليّ من أن أُحسنَ عون مثلك على مطلبه، غير أني في حيني هذا ممتحن بما لعلَّه قد بلغك. فقلت له: بلى، قد بلغني وأنا قريب من بلدك مقبلٌ نحوك.

وقلت له: أبا عبد الله! هذا أول دخولي، وأنا مجهول العين عندكم، فإن أَذِنْتَ لي أن آتي في كل يوم في زي السُّؤَّال، فأقول عند باب الدار ما يقولون، فتخرج إلى هذا الموضع، فَلو لم تحدثني في كل يوم إلاّ بحديث واحد، لكان فيه كفاية. فقال لي: نعم، على شرط ألا تظهر في الحَلَق ولا عند أصحاب الحديث.

فقلت: شَرطك.

فكنت آخذ عُوداً بيدي، وأَلفُّ رأَسي بخرقة، وأَجعل كاغدي ودَواتي في كمُيَّ، ثم آتي بابه فأَصيح: الأَجرَ رحمك الله، والسُّوّال هناك يقولون كذلك، فيخرج إلّي، ويغلق باب الدار، ويحدثني بالحديثين والثلاثة والأكثر.

والتزمت ذلك حتى مات الممتَحِن له، ووليَ بعد مَنْ كان على مذهب السُنَّة، فظهر أَحمد بن حنبل، وسما ذكره، وعظم في عيون الناس، وعلت إمامته، وكانت تضرب إليه آباط الإبل، فكان يعرف لي حق صبري.

كنت إذا أتيت حَلْقَتَه فَسَح لي وأَدناني من نفسه، ويقول لأصحاب الحديث: هذا يقع عليه اسم طالب العلم... ثم يقص عليهم قصتي معه، فكان يناولني الحديث مناولة، ويقرأه عليّ، وأَقرأُه عليه.

واعتللت عِلة أَشفيت منها، ففقدني من مجلسه، فسأَل عني، فأُعلم بعلَّتي، فقام من فوره مقبلاً إليّ عائداً لي بمن معه، وأَنا مضطجع في البيت الذي كنت اكتريت، ولِبدِي تحتي، وكسائي عليّ، وكتبي عند رأسي.... فسمعت الفندقَ قد ارتَجَّ بأَهله، وأَنا أَسمعهم يقولون: هو ذاك.... أَبصروه... هذا إمام المسلمين مقبلاً، فبدَرَ إليَّ صاحب الفندق مسرعاً، فقال لي: أَبا عبد الرحمن! هذا أَبو عبد الله أَحمد بن حنبل إمام المسلمين، مقبلاً إليك، عائداً لك.

ودخل وجلس عند رأسي، وقد احتَشَى البيت من أَصحابه، فلم يسعهم؟ حتى صارت فرقه منهم في الدار وقوفاً وأَقلامهم بأَيديهم....... فما زادني على هذه الكلمات، فقال لي: يا أَبا عبد الرحمن! أَبشرِ بثواب الله، أَيام الصحة لا سقمَ فيها، وأَيام السقم لا صحة فيها، أَعلاك الله إِلى العافية، ومسَحَ عنك بيمينه الشافية.... فرأيت الأَقلام تكتب لفظه.

ثم خرج عني، فأَتاني أَهل الفندق يَلْطفون بي، ويخدمونني ديانةً وحِسبَةً، فواحد يأتي بفراش، وآخر بلحاف، وبأطايب من الأَغذية، وكانوا في تمريضي أَكثر من تمريض أَهلي لو كنت بين أَظهرهم، لعيادة الرجل الصالح.

هل أُعلق على هذا الحديث؟ لا... إِن ذلك يجنى عليه، ولكني أَقول: رضي الله عنهم، لقد أتعبوا العلماءَ والمتعلمين والأَساتذة والطلاب والمعلمين والتلاميذ من بعدهم!.

☆☆☆

هيبة النبي ﷺ

١ـ كان النبي ﷺ إِذا تكلّم أَطرق جلساؤه كأَن على رؤوسهم الطير: قال أَنس بن مالك رضي الله عنه: كان النبي ﷺ يخرج على أَصحابه من المهاجرين والأَنصار وهم جلوس، فلا يرفع أَحد منهم بصره إِلا أَبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فَانهما كانا ينظران إِليه وينظر إِليهما، ويبتسمان إِليه ويبتسم إِليهما.

٢ـ وقال البراءُ بن عازب رضي الله عنه: لقد كنت أُريد أَن أَسأَل رسول الله ﷺ عن الأَمر، فأؤخره سنتين من هيبته.

٣ـ وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: ما كنت أُطيق أَن أَملأَ عيني من رسول الله ﷺ إِجلالاً له.... لو سئلت أَن أَصفه ما أَطقت، لأَني لم أَكن أَملأُ عيني منه.

٤ـ وقد تجاوزت هيبته أَصحابه إِلى أَعدائه.

قدم رجل من (أراش[١]) بإِبلٍ له مكة، فابتاعها منه أَبو جهل، فمطله بأَثمانها، فأَقبل الأَراشي حتى وقف على ناد من قريش، ورسول الله ﷺ في ناحية المسجد جالس، فقال: يا معشر قريش أَمنْ رجلٌ يؤديني على أبي الحكم بن هشام، فإني رجل غريب ابن سبيل، وقد غَلَبني على حقي». فقال له أَهل ذلك المجلس: أَترى ذلك الرجل الجالس ـ يريدون رسول الله ﷺ ـ وهم يهزأون به لما يعلمون ما بينه وبين أَبي جهل من العداوة ـ اذهب إِليه فإنه يؤديك عليه.

---

(١) أراش: قبيلة من القبائل العربية.

وأَقبل الأراشي حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال: «يا عبد الله! إن أَبا الحَكم بن هشام قد غلبني على حق لي قِبَلَهُ، وأَنا رجل غريب، وقد سأَلت هؤلاء القوم عن رجل يؤديني عليه، فأَشاروا لي إليك، فخذ لي حقي منه يرحمك الله».

قال له رسول الله ﷺ: انطلق إليه»، وقام معه.

وحين رآه رجال قريش قام معه، قالوا لرجل ممن معهم: اتبعه فانظر ماذا يصنع.

وخرج رسول الله ﷺ حتى جاءَ أَبا جهل، فضرب عليه بابه، فقال أَبو جهل: من هذا؟ فقال له رسول الله ﷺ: «محمد، فاخرج إليّ».

وخرج أَبو جهل إلى النبي ﷺ وما في وجهه بقية من روح، قد أصفر وجهه، فقال له رسول الله ﷺ: «اعطِ هذا الرجل حقَّه». قال أَبو جهل: «نعم، لا تَبْرَح حتى أعطيه الذي له».

ودخل أَبو جهل داره، وخرج إلى الرجل بحقِّه ودفعه إليه.

وانصرف رسول الله ﷺ، وقال للأَراشي: «إلحق بشأْنك»، فأَقبل الأَراشي حتى وقف على مجلس قريش وقال: «جزاه الله خيراً، فقد والله أَخذ لي حقي».

وجاء الرجل الذي بعثه رجال قريش مع الأَراشي لينظروا ماذا يحدث بين النبي ﷺ وأَبي جهل، فقالوا له: ويحك! ما رأَيت؟! قال: «عجباً من العجب! والله ما هو إلا أَن ضرب عليه بابه، فخرج

إليه وما معه روحه، فقال له: اعط هذا حقَّه، فقال: نعم، لا تبرح حتى أَخرج إليه حقه، فدخل فخرج إليه بحقه فأَعطاه إياه».

ولم يلبث أَبو جهل أَن جاءَ، فقالوا له: ويلك! مالك؟! والله ما رأَينا مثل ما صنعت قط. فقال لهم أَبو جهل: «ويحكم! والله ما هو إلاَّ أَن ضرب على بابي، وسمعت صوته فمُلِئْت رعباً، ثم خرجت إليه وإن فوق رأَسه لفحلاً من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا أنيابه لفحلٍ قط، والله لو أَبيْتُ لأَكلني».

٥ـ إن هيبة النبي ﷺ، كانت هبة من الله، فلم يكن جباراً بل هو رحمة للعالمين.

وصدق الله العظيم: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤].

☆☆☆

اجعله في كفني ألقى به ربي

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمرّ على الناس متستراً ليتعرف أَخبار رعيته، فمرّ بعجوز في خبائها، فسلَّم عليها وقال لها: «ما فعل عمر؟»، قالت: «لا جزاه الله عني خيراً!!». قال لها: ولِمَ؟ قالت: «لأنه والله ما نالني من عطائه منذ ولِيَ أَمر المؤمنين دينار ولا درهم». فقال لها: «وما يُدري عمر بحالك وأَنت في هذا الموضع؟». قالت: «سبحان الله!! والله ما ظننت أَن أَحداً يلي عمل الناس ولا يدري ما بين مشرقها ومغربها».

وبكى عمر ثم قال: «واعمراه!! كل أَحد أَفقه منك حتى العجائز يا عمر!!»، ثم قال لها: «يا أَمَة الله! بكم تبعيني ظلامتك من عمر؟ فإني أَرحمه من النار»، قالت: «لا تهزأ بنا يرحمك الله»، فقال لها: «لست بهزاءٍ»، ولم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين ديناراً.

وبينما هو كذلك إذا أَقبل علي بن أَبي طالب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما فقالا: السّلام عليك يا أَمير المؤمنين. فوضعت العجوز يدها على رأسها وقالت: واسوأتاه! شتمت أَمير المؤمنين في وجهه»، فقال لها عمر: «لا بأْس عليك رحمك الله» ثم طلب رقعة يكتب فيها فلم يجد، فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم» هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ وليَ إلى يوم كذا وكذا بخمسة وعشرين ديناراً، فما تدعى عند وقوفه في

المحشر بين يدي الله تعالى فعمر منه بريءُ»، وشهد على ذلك علي بن أبي طالب وابن مسعود. ورفع عمر الكتاب إلى ولده وقال: «إذا أَنا مت فاجعله في كفني أَلقى به ربي».

تربية نبوية

سأَل أعرابيٌ رسولَ الله ﷺ شيئاً من متاع الدنيا، فأَغلظ الأعرابي القول للنبي ﷺ.

وهمّ بعض الصحابة أَن يبطش بالأعرابي، ولكن النبي ﷺ نهى صاحبه وقام إلى بيته وزاد في الإحسان إلى الأعرابي حتى يبدل غلظته ليناً ولطفاً، وجفوته سماحة ودعة.

وسأَل النبي ﷺ ذلك الأعرابي: «أَرضيت؟»، فقال الأعرابي: «نعم رضيت، فجزاك الله من أخ وعشيرة خيراً».

وقال النبي ﷺ للأعرابي: «إنك قلت ما قلت، وفي نفس أَصحابي عليك شيءُ، فأخرج إليهم، وقل أَمامهم ـ ما تقول».

وخرج الأعرابي راضياً، فعرف هذا الرضا في وجهه أَصحاب رسول الله ﷺ، فسكنت نفوسهم.

وأرشد النبي ﷺ أَصحابه إلى ثمرة التربية العملية للنفوس البشرية، فيقول لهم: «لو تركتكم وما كنتم تريدون به لدخل النار».

☆☆☆

الله موجود

١ـ قال بعض الأعراب، وقد سئل عن: الدليل على وجود الرب، فقال: يا سبحان الله! إنّ البعر ليدلّ على البعير، وإن أَثر الأقدام ليدل على المسير، فسماء ذات أَبراج، وأَرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، أَلا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير!!؟.

٢ـ وسئل أَبو نواس عن ذلك فأَنشد:

تأَمل في نبات الأَرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات ... بأَحداق هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات ... بأَن الله ليس له شريك

٣ـ وقال ابن المعتز:

فيا عجباً كيف يُعصى الإله ... أَم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية ... تدل على أُنه واحد



ورع الأحنف

١ـ الأحنف بن قيس، سيد بني تميم وفاتح قاشان وخراسان وحليم العرب، كان تقياً ورعاً كثير التدين قوي الإيمان.

٢ـ قال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرة: «الأحنف سيد أهل المشرق»، وقال عنه مرة أخرى: «الأحنف سيد أهل البصرة»، وقال عنه الحسن البصري رضي الله عنه: «ما رأيت شريف قوم أفضل منه».

٣ـ كان رجلاً صالحاً كثير الصلاة بالليل، وكان يسرج المصباح ويصلي ويبكي حتى الصباح، وكان يضع أصبعه في المصباح ويقول: «حِسْ يا أحنف! ما حملك على كذا؟! ما حملك على كذا؟!»، ويقول لنفسه: «إذا لم تصبر على المصباح، فكيف تصبر على النار الكبرى؟».

٤ـ وقيل له: إنك تكثر الصوم وإن ذلك يرق المعدة، فقال: إني أعده لسفر طويل.

٥ـ واستعمل الأحنف على (خراسان)، فلما أتى فارس أصابته جنابة في ليلة باردة، فلم يوقظ أحداً من غلمانه ولا جنده وانطلق يطلب الماء، فأتى على شوك وشجر حتى سالت قدماه دماً، فوجد الثلج فكسره واغتسل.

٦ـ وكان قلّ ما خلا إلا دعا بالمصحف، وكان النظر في المصاحف خُلقاً في الأولين، وكان من دعائه: «اللهم إن تغفر لي

فأنت أهل ذاك، وإن تعذبني فأنا أهل ذاك».

ومن دعائه: «اللهم هب لي يقيناً تهوِّن به عليَّ مصيبات الدنيا».

٧ـ ومرت به جنازة، فقال: «رحم الله من أجهد نفسه لمثل هذا اليوم»، وكان يقول: «عجبت لمن يجري في مجرى البول مرتين، كيف يتكبر!!!».

٨ـ وكان يكره أن يصلي في المقصورة، وأن يتخطى رقاب الناس قبل خروج الإمام يوم الجمعة.

٩ـ وبلّغ الأحنف رجلان أن النبي ﷺ دعا له، فسجد شكراً لله.

وكان نقش خاتمه: نعبد الله.

رضي الله عن الأحنف بن قيس التميمي، فقد كانت الدنيا في يده لا في قلبه.

☆☆☆

صاحب النقب

كان مَسْلَمَة بن عبد الملك بن مروان أحد قادة الفتح الإسلامي الكبار، وفي يوم من أيام جهاده المجيد حاصر حصناً من حصون الروم، فندب الناس إلى نقب منه، فما دخله أحد!.

وجاء رجل من عُرض الجيش فدخله ففتحه الله على المسلمين.

ونادى مسلَمة: أين صاحب النقب؟ فما جاءه أحد، فنادى إني قد أمرت الآذِنَ بإدخاله ساعة يأتي، فعزمت عليه إلاَّ جاء.

وجاء رجل فقال للآذِن: «استأْذن لي على الأمير!»، فقال له: «أنت صاحب النقب؟»، قال الرجل: «أنا أخبركم عنه».

وأتى الآذن مسلمة، فأخبره عن الرجل، فأَذن له، فقال: «إنَّ صاحب النقب يأْخذ عليكم ثلاثاً: ألا تسوِّدوا اسمه في صحيفة إلى الخليفة، ولا تأْمروا له بشيءٍ، ولا تسأَلوه ممن هو».

قال مسلَمة: «فذاك له».

قال الرجل: «أنا هو»، فكان مسلَمة لا يصلي بعدها صلاة إلا قال: «اللهم اجعلني مع صاحب النقب».

لقد مات صاحب النقب في أجله الموعود، فنسيه الناس ولم يعرف بموته أحد، ولكن الله سبحانه وتعالى يعرفه ولا ينساه.

وأين معرفة الناس وذكرهم من معرفة الله وذكره؟!.

نحن من ماء

لما خرج رسول الله ﷺ إلى (بدر)، مرّ حتى وقف على شيخ من

العرب، فسأله عن محمد وقريش وما بلغه من خبر الفريقين، فقال الشيخ: «لا أخبركم حتى تخبروني من أنتم»، فقال رسول الله ﷺ: «إذا أخبرتنا أخبرناك».

قال الشيخ: «خبِّرت أنّ قريشاً خرجت من مكة وقت كذا، فإن كان الذي خبرني صدق، فهي اليوم بمكان كذا ـ للموضع الذي به قريش. وخبِّرت أن محمداً خرج من المدينة وقت كذا، فإذا كان الذي خبّرني صدق، هو اليوم بمكان كذا ـ للموضع الذي به رسول الله ﷺ».

ثم قال: «مَنْ أنتم»، فقال رسول الله ﷺ: «نحن من ماء»، ثم انصرف.

وجعل الشيخ يقول: «نحن من ماء!! من ماء العراق أو ماء كذا أو ماء كذا!!».

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وإلى ذلك أشار النبي ﷺ في قوله للشيخ الأعرابي: «نحن من ماء»، معلّماً أُمته نموذجاً عالياً من الكتمان ـ خاصة في القضايا العسكرية، التي لا يَصِح كشفها إلا في حدود معيَّنة وضمن نطاقٍ معين.

أنت أمّنتني

أراد عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه قتل الهُرمزان أحد قادة الفرس الذين نكثوا مرات، فاستسقى الهرمزان، فأُتي بماءٍ، فأمسكه

بيده واضطراب. فقال له عمر: «لا بأْس عليك! إني غير قاتلك حتى تشربه».

وألقى الهرمزان القدح من يده، فأمر عمر بقتله فقال: «ألم تؤمِّني!!» قال عمر: «كيف أمنتك!»، قال: قلت: لا بأْس عليك حتى تشربه، ولا بأْس أمان، وأنا لم أشربه» فقال عمر: «قاتله الله! أخذ أماناً ولم نشعر به». قال أصحاب رسول الله ﷺ صدق.

حبر الأمَّة

قال عبد الله بن العباس رضي الله عنه وهو حبر الأُمة: «كتب قيصر الروم إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: سلام عليك، أما بعد. فأَنبئني بأحب كلمة إلى الله، وثانية وثالثة ورابعة، وخامسة، ومَن أكرم عباده إليه وأكرم إمائه؟، وعن أربعة أشياء فيهن الروح لم يرتكِضْنَ في رحم، وعن قبر يسير بصاحبه، ومكان في الأرض لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة، والمجرة ما موضعها من السماء، وقوس قزَح وما بدء أمره؟ فلما قرأ كتابه قال: اللّٰهم ألعنه! ما أدرى ما هذا! فأرسل إليَّ يسألني فقلت: أما أحب كلمة إلى الله، فلا إله إلا الله، لا يُقبل عملاً إلا بها، وهي المنجية. والثانية: سبحان الله، وهي صلاة الخلق. والثالثة: الحمد لله، كلمة الشكر. والرابعة: الله أكبر، فواتح الصلوات والركوع والسجود. والخامسة: لا حول ولا قوة إلا بالله. وأما أكرم عباد الله إليه، فآدم: خلقه بيده وعلَّمه الأسماء كلها. وأكرم إمائه: مريم التي أحصنت فرجها. والأربعة التي فيهِّنَ روح، ولم يرتكضن برحم،

فآدم وحوَاءُ وعصا موسى والكبش. والموضع الذي لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة، فالبحر حين انفلق لموسى وبني إسرائيل. والقبر الذي سار بصاحبه، فبطن الحوت الذي كان فيه يونس عليه الصلاة والسلام».

الفُضيل بن عياض

حدّث سفيان بن عُيينَة قال: «دعانا الرشيد فدخلنا عليه ودخل الفضيل آخرنا مقنعاً رأْسه بردائه، فقال لي: يا سفيان! أيهم أمير المؤمنين؟ فقلت: هذا، وأومأْت إلى الرشيد، فقال له: أنت يا حسن الوجه، أمر هذه الأُمة في يدك وعنقك؟ لقد تقلدت أمراً عظيماً. فبكى له الرشيد: ثم أتى لكل رجل منا ببدرة، فكل قبلها إلا الفُضيل. فقال له الرشيد: يا أبا علي!، إن لم تستحلها فأعطها ذا دين، واكس بها عرياناً، فاستعفاه منها، فلما خرجنا قلت له: يا أبا علي! أخطأت، ألا أخذتها وصرفتها في أبواب البر، فأخذ بلحيتي ثم قال: يا أبا محمد! أنت فقيه البلد والمنظور إليه وتغلط مثل هذا الغلط؟! لو طابت لأُولئك لطابت لي».

رؤيَا صَادقة

ذكر عبد الله بن مالك الخزاعي، وكان على دار الرشيد وشرطته قال: «أتاني رسول الرشيد في وقت ما جاءني فيه قط، فانتزعني من موضعي ومنعني من تغيير ثيابي، فراعني ذلك منه. فلما صرت إلى الدار سبقني الخادم، فعرف الرشيد خبري، فأذن لي في الدخول، فدخلت فوجدته قاعداً على فراشه، فسلمت عليه فسكت ساعة،

فطار عقلي وتضاعف الجزع عليَّ، ثم قال لي: يا عبد الله! إني رأيت الساعة في منامي كأنّ جيشاً قد أتاني ومعه حربة، فقال لي: إن لم تخلِّ عن موسى بن جعفر السّاعة، وإلاّ نحرتك بهذه الحربة، فاذهب فخَلِّ عنه. فقلت يا أمير المؤمنين! أطلق موسى بن جعفر؟ ثلاثاً! قال: نعم، امضي الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر؟ واعطه ثلاثين ألف درهم، وقل له: إن أحببت المقام قبلنا فلك عندي ما تحب، وإن أحببت المضي إلى المدينة فالإذن في ذلك إليك. قال: فمضيت إلى الحبس لأخرجه فلما رآني موسى وثب قائماً وظن أني قد أمرت فيه بمكروه، فقلت: لا تخف! وقد أمرني أمير المؤمنين بإطلاقك، وأن أدفع إليك ثلاثين ألف درهم، وهو يقولُ لك: إن أحببتَ المقام قَبلنا فلك ما تحب، وإن أحببت الانصراف إلى المدينة، فالأمر في ذلك مطلق إليك. وأعطيته الثلاثين ألف درهم، وخليت سبيله، وقلت: لقد رأيت في أمرك عجباً. قال: فإني أخبرك! بينما أنا نائم إذا أتاني النبي ﷺ، فقال: يا موسى! حبست مظلوماً فقل هذه الكلمات، فإنك لا تبيت هذه الليلة في الحبس. فقلت: بأبي وأمي ما أقول؟ فقال: قل: يا سامع كل صوت، ويا سابق الفوت، ويا كاسي العظام لحماً، ومنشرها بعد الموت؛ أسألك بأسمائك الحسنى وباسمك الأعظم، يا حليماً ذا أناة لا يقوى على أناته، ياذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً ولا يحصى عدداً، فرِّج عني. . . فكان ما ترى».

خذوه فهو صاحبكم

جاءَ رجل إلى سليمان النبي عليه السلام فقال: يا نبيَّ الله؟ إن لي جيراناً سرقوا إِوزَّتي، فنادى: الصلاة جامعة. ثم خطبهم فقال في خطبته: «وأَحدكم يسرق إِوزة جاره، ثم يدخل المسجد والريش على رأْسه؟؟». فمسح رجلٌ على رأسه، فقال سليمان: «خذوه فهو صاحبكم».

مجالس ذكر الله

كان سارقاً من أَشهر السراق، وكان يقود عصابة من اللصوص عاثت في البلد فساداً.

وفي يوم من الأَيام أَراد سرقة دار جاره، فعبر الحائط واستقر فوق السطح مع عصابته، وأَخذ يستطلع من علٍ حركة أَهل الدار وسكناتهم، حتى يفاجئهم حين ينامون.

ولكنه رأَى في إِيوان الدار ـ وكانت الدار مكشوفة من الطراز القديم الذي كان شائعاً في الموصل قديماً، رأَى حلقة للذكر فيها جمع من الناس يذكرون الله.

وانتظر حتى تبين الخيط الأَبيض من الخيط الأَسود من الفجر ثم غادر الدار مع عصابته ليعود إِليها سبعة أَيام متتالية، وليرى حلقة الذكر حافلة بالناس، يذكرون الله.

وفي اليوم الثامن قال اللص المشهور، رئيس العصابة، لصاحب الدار، وكان رجلاً ورعاً تقياً كثير التدين، أَمواله بيده لا بقلبه، فهي للفقراءِ والمساكين والمحتاجين. قال اللص لصاحب الدار: أَفي

كل يوم تقيم حلقة للذكر في دارك؟ واستغرب الرجل وقال: لم أَعقد في داري حلقة للذكر منذ سنوات؟

وقال اللص: الآن حصص الحق، لقد حاولت سرقة دارك منذ سبعة أَيام خلت، وكل يوم أَدخل دارك أَجد حلقة للذكر في الإيوان، تستمر حتى مطلع الفجر.

وقال الرجل: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ﴾ [الحج: ٣٨]

كان ذلك اللص اسمه: عبود الذي ذبح الأَطفال وأَكلهم سنة الغلاء الفاحش (١٩١٧) وحكم عليه بالإعدام شنقاً حتى الموت هو وزوجه، ونفذ فيهما حكم الإعدام.

وكان ذلك الرجل التقي الورع اسمه: الحاج خطاب أحمد، الذي كان يعيل كثيراً من العوائل، الفقيرة، وكان الناس لا يدرون من أَين تأْكل تلك العوائل ومن أين يلبسون، فلم يظهر عليهم الفقر والبؤس والفاقة إلاَّ بعد موته.

يرحم الله الحاج خطَّاب، فقد دافع عنه الله في حياته، وهو اليوم في ضيافة رب السموات والأَرض في جنات النعيم[(١)].

الإمام الشافعي في ساعته الأخيرة

دخل رجل على الشافعي رضي الله عنه وهو في ساعته الأخيرة،

(١) القصة مذكورة بتفصيل أكثر من كتاب (تدابير القدر) للمؤلف ـ طباعة دار وحي القلم (الناشر).

فقال له: كيف أَصبحت؟ قال: «أَصبحت من الدنيا راحلاً، ولإخوتي مفارقاً، وبكأس المنية شارباً، ولا أَدري إِلى الجنة تصير روحي فأُهنيها، أَم إِلى النار فأُعزيها وأَنشأَ يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي   جعلت الرجا مني لعفوك سلَّما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته   بعفوك ربي كان عفوك أَعظما

رد الشهادة بالملق

شهد الفضل بن الربيع وزير الخليفة هارون الرشيد أَمام القاضي أَبي يوسف، فردّ أَبو يوسف شهادته.

وقال الخليفة لأَبي يوسف: لِمَ رددتَ شهادته!؟

قال: لأَنني سمعته يوماً يقول للخليفة: أَنا عبدك، فإِن كان صادقاً فلا شهادة له، وإِن كان كاذباً فكذلك؛ لأَنه لم يبال بالكذب في مجلسك، فلا يبالي بالكذب في مجلسي.

وعذره الخليفة.

بين زوجين

كان أَبو الأَسود الدؤلي لي مِزْواجاً، وكان له مع نسائه حوادث طريفة منها: أَنه كان بينه وبين إِحداهنّ كلام في ابن كان لها منه، وأَراد أَن يأْخذه منها، فاختصما إِلى قاضي البصرة.

قالت الزوجة: أَصلح الله القاضي! هذا ابني، كان بطني وعاءَه، وحجري فناءَه، وثوبي سقاءَه؛ أَكلؤه إِذا نام، وأَحفظه إِذا قام، فلم يزل كذلك سبعة أَعوام. . . حتى إِذا استوفي فصاله، وكملت

خصاله، واستولعت أَوصاله، وأَملت نفعه، ورجوت دفعه، أَراد أَن يأْخذه مني كرهاً فأَدني أَيها القاضي، فقد رام قهري، وأَراد قسري.

فقال الزوج أَبو الأَسود: أَصلحك الله! هذا ابني، حملته قبل أَن تحمله، ووضعته قبل أَن تضعه، وأَنا أَقوم عليه في أَدبه، وأَنظر في أَوده، وأَمنحه علمي، وأَلهمه حلمي، حتى يكمل عقله، ويستحكم فتله.

فقالت الزوجة: صدق أَصلحك الله، حمله خفاً!، وحملته ثقلاً، ووضعه شهوة، ووضعته كرهاً.

فقال القاضي: اردد على المرأَة ولدها، فهي أَحق به منك، ودعني من سجعك.

علامات فارقة

سئل أَبو بكر الشبلي: ما علامات العارف؟

قال: صدره مشروح، وقلبه مجروح، وجسمه مطروح.

قيل: مَن العالم؟

قال: مَن عرف الله، وعمل بما علَّمه الله، وأَعرض عماً نهاه الله.

قيل: فمن الصوفي؟

قال: مَن صفا قلبه، ورمى الدنيا، وجفا الهوى، واتبع المصطفى ﷺ.

قيل: فما المتصوف؟

قال: التأَلف، والإعراض عن التكلُف، وأَحسن منه تصفيه

القلوب لعلّام الغيوب. وأَحسن منه، التعظيم لأمر الله، والشفقة على عباد الله. وأَحسن منه، من صفا من الكدر، وخلص من العكر. وامتلأَ من الفِكر، وتساوي عنده الذهب والمدَر (أَي الحجر).

أهل الخَير

لما ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عنه الخلافة، كتب إليه طاووس التابعي: إن أردت أَن يكون عملك خيراً كله، فاستعمل أَهل الخير.

فقال الخليفة الورع حين استلم هذه الرسالة: كفى بها موعظة.

العمل الصَالح

قال أحد الصالحين: ما بينك وبين أَن ترى من الله ما تحب إلا أَن تعمل فيما بينك وبين خلقه ما يحب، فحينئذٍ لا تفقد بره، ولا تعدم في كل أَمر خيره.

الصبر جميل

أصابت عروة بن الزبير رضي الله عنه (الأكلة)[1] في رجله فأَشاروا عليه بقطعها.

قالوا: نسقيك المرقِّد.

فقال: إني لأَكره أَن أُفارق عضواً من أَعضائي، وأَنا لا أَجد أَلماً لفراق ذلك العضو.

---

(١) السرطان.

ودخل عليه قوم أَنكرهم، فقال: ما هؤُلاءِ؟! قالوا: يمسكونك. قال: أَرجو أَن أَكفيكم ذلك من نفسي.

ومدّ رجله وجيءَ بالسكين، فقطع اللحم، وبالمنشار فنشر به العظم، وأَغلي الزيت في مغارف الحديد وحسم به الدم. كل ذلك، وهو لم يقبض وجهه، ولم يتحرك.

وفي أَثناء ذلك دخل عليه رجل يعزيه، فقال: إِن كنت تعزيني في رجلي، فقد احتسبتها!.

قال: بل أُعزيك في ولدك محمد!

قال: ماله؟!

قال: سقط الساعة في اسطبل دواب الوليد، فرفسته بقوائمها حتى قتلته.

فما زاد على أن قال: «الَّلهم أخذت ابناً وأَبقيت أَبناء، وأَخذت عضواً وأَبقيت أَعضاء».

«اللهم إن كنت أَخذت فقد أَبقيت، وإن كنت ابتليت فقد عافيت»[1].

---

(١) والصحيح أن يقول الإنسان إذا أصابته مصيبة أو نكبة: «إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها» رواه مسلم. (الناشر).

طلب العلم

١ـ ذكر عبد الرحمن بن قاسم العُتَقي المصري، أَحد أَصحاب الإمام مالك والإمام الليث وغيرهما، والمتوفى بمصر سنة ١٩١هـ، أَنه كان يأْتي مالكا غَلسّاً فيسأَله من مسأَلتين، ثلاثة، أَربعة، وكان يجد من مالك في ذلك الوقت انشراح صدر، فكان يأْتي مالكاً كل سحر.

وتوسد مرة عتبة مالك، فغلبه النوم. وخرج مالك إلى المسجد ولم يشعر به، فركضته جارية سوداءَ لمالك برجلها قائلة: إِنَّ مولاك قد خرج، ليس يَغْفُل كما تَغْفل أنت... اليوم له تسع وأَربعون سنة، قلَّما صلى الصبح إلاَّ بوضوء العَتَمَة.

٢ـ وقال ابن القاسم: أَنخت بباب مالك سبع عشرة سنة، وما بعت فيها ولا اشريت شيئاً، فبينما أَنا عنده، إذا أَقبل حاجُّ مصر، فإذا شاب متلِّثم دخل علينا، فسلَّم على مالك، فقال: أَفيكم ابن القاسم؟ فأُشير إِليَّ، فأَقبل يُقبِّل عينيَّ. ووجدت منه ريحاً طيبة، فإذا هي رائحة الولد، وإذا هو ابني؟

وكان ابن القاسم ترك أُمه حاملاً به، وكانت ابنة عمه، وقد خيرها عند سفره لطول إقامته، فاختارت البقاء.

تربية الطالب

١ـ أسد بن الفرات، قاضي القيروان، وتلميذ الإمام مالك، ومدون مذهبه، وصاحب: (الأَسدية) في الفقه المالكي، وفاتح

صقلية الذي استشهد بها سنة ٢١٣هـ، كان قد خرج من القيروان إلى المشرق سنة ١٧٢هـ، فسمع (الموطأ) على مالك بالمدينة المنورة، ثم رحل إلى العراق فسمع من أصحاب أبي حنيفة وتفقه عليهم، وكان أكثر اختلافه إلى محمد بنَ الحسن الشيباني. قال أَسد لمحمد بن الحسن: إني غريب وقليل النفقة، والسماع عندك نزر، والطلب عندك كثير، فما حيلتي؟ فقال محمد: اسمع مع العراقيين بالنهار، وقد جعلت لك الليل وحدك، فتأْتي فتبيت عندي، فأُسمعك.

قال أَسد: فكنت أَبيت في سقيفة بيت يسكن محمد بن الحسن في علوه، فكان ينزل إليّ، ويضع بين يديه قدحاً فيه ماء، ثم يأْخذ في القراءَة، فإذا طال الليل ورآني نعست، ملأَ يده ماء ونضح به على وجهي، فأَنتبه، فكان ذلك دأْبي ودأْبه حتى أَتيت على ما أُريد من السماع عليه.

٢ـ وقد أَسبغ محمد بن الحسن رعايته المادية والمعنوية على تلميذه أَسد؛ كما كان يفعل السلف الصالح من الأَساتذة بطلابهم وتلامذتهم.

قال أَسد: كنت جالساً يوماً في حلقة محمد بن الحسن، فصاح صائح: الماءُ للسبيل: فقمت مبادراً، فشربت من الماء ثم رجعت إلى الحلقة، فقال محمد بن الحسن: يا مغربي! أَشربت ماء السبيل؟ فقلت: أَصلحك الله، وأَنا ابن سبيل: ثم انصرفت... فلما كان الليل، إذ بإنسان يدق الباب، فخرجت إليه، فإذا خادم

محمد بن الحسن فقال مولاي يقرأ عليك السلام ويقول لك: ما علمت أنك ابن سبيل إلا في يومي، فخذ هذه النفقة فاستعن بها على حاجتك..... ثم دفع لي صرة ثقيلة. فقلت في نفسي: هذه كلها دراهم....... ففرحت بها، فلما دخلت منزلي فتحتها، فإذا فيها ثمانون ديناراً.

بركة العلم

١ـ قال القاضي أبو يوسف صاحب كتاب: الخراج، وتلميذ الإمام أبي حنيفة رضي الله عنهما: كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مُقِلٌ رَثٌ الحال. فجاء أبي يوماً وأنا عند أبي حنيفة، فانصرفت معه فقال: يا بني؟ لا تمدنَّ رِجلك مع أَبي حنيفة، فإن أبا حنيفة خبزه مَشْوي، وأنت تحتاج إلى المعاش. فقصرت عن كثير من الطلب، وآثرت طاعة أبي.

وتفقدني أبو حنيفة وسأَل عني، فجعلت أَتعاهد مجلسه، فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخري عنه قال لي: ما شغلك عنا؟ قلت: الشغل بالمعاش وطاعة أبي. وجلست فلما انصرف الناس دفع إلي صرُة وقال: استمتع بها، فنظرت فإذا فيها مائة درهم، فقال لي: الزم الحلقة، وإذا نفدت هذه فأَعلمني، فلزمت الحلقة، فلما مضت مدة يسيرة دفع إلي مائة أُخرى، ثم كان يتعهدني، وما أَعلمته بخلَّة قط، ولا أَخبرته بنفاد شيء ما، وكان كأَنه يخبر بنفادها، حتى استغنيت وتَموَّلت.

وهناك رواية ثانية في نشأَة الإمام أَبو يوسف.

٢ـ وقال أَبو يوسف: توفي أَبي إبراهيم بن حبيب وخلفني صغيراً في حجر أَمي، فأَسلمتني إلى قصار أخدمه، فكنت أَدع القصار وأَمر إلى حلقة أَبي حنيفة، فأَجلس استمع، فكانت أُمي تجيءُ خلفي إلى الحلقة، فتأْخذ بيدي وتذهب بي إلى القصار، وكان أبو حنيفة يُعْنَي بي لما يرى من حضوري وحرصي على التعلم.

فلما كثر ذلك على أُمي وطال عليها هربي، قالت لأبي حنيفة: ما لهذا الصبي فساد غيرك، هذا صبي يتيم لا شيء له، وإنما أَطعمه من مِغْزلي وآمل أَن يكسب دانقاً يعود به على نفسه. فقال لها أَبو حنيفة: مُرِّي! هو ذا يتعلم أَكل الفالوذج بدهن الفستق.

قال أبو يوسف: ثم لزمت أَبا حنيفة، وكان يتعاهدني بماله، فما ترك لي خَلَّة، فنفعني الله بالعلم ورفعني حتى تقلَّدت القضاء. وكنت أَجالس هارون الرشيد وآكل معه على مائدته، فلما كان في بعض الأيام، قُدَّم إلى هارون الرشيد فالوذَج، فقال لي هارون: يا يعقوب! كُلْ منه فليس يُعْمَل لنا مثله كل يوم! فقلت وما هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال هذا فالوذج بدهن الفستق! فضحكت، فقال لي: مِمَ ضحكت؟. فقلت: خيراً أبقى الله أَمير المؤمنين! فقال: لتخبرني ـ وأَلحّ عليّ ـ فأَخبرته بالقصة من أَولها إلى آخرها، فعجب من ذلك وقال: لعمري، إنَّ العلم ليرفع وينفع ديناً ودنيا. . . . وترحَّم على أبي حنيفة وقال: كان ينظر بعين عقله، مالا يراه بعين رأسه.

رزقكم في السَماء

كان عفَّان بن مسلم شيخ الإمام البخاري أول من امتحن من الناس في محنة مسألة خلق القرآن.

قال إبراهيم بن الحسين: لما دعى عفان بن مسلم للمحنة، كنت آخذاً بلجام حماره، فلما حضر عُرِض عليه القول فامتنع أن يجيب، فقيل له: يُحْبَسُ عطاؤُك، وكان يعطى في كل شهر ألفي درهم، فقال: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ [الذاريات: ٢٢] فلما رجع إلى داره عذله نساؤه ومَن في داره، وكان في داره نحو أَربعين إنساناً. فدق عليه داق الباب، فدخل عليه رجل، فقال: يا أَبا عثمان ثبّتك الله كما ثبّت الدين، وهذا لك في كل شهر!.

ودفع له كيساً فيه ألف درهم.

بركة الإيثار

١ـ قال محمد بن سعد صاحب طبقات ابن سعد: رآني محمد بن عمر الواقدي مغتماً، فقال لي: لا تغتم، فإن الرزق يأْتي من حيث لا تَحْتَسِب ثم قال: أَملقت مرة حتى بعت بِرْذَوْنِي، فاستبطأَني يحيى بن خالد البرمكي، فاعتذرت إليه، فوقف على حالي، فأمر لي بخمس مئة دينار، فصرت بها إلى البيت، فأنا في تصريفها في قضاء الدين والعيال، إذ طرقني رجل من أهلِ المدينة قد قطِعَ عليه الطريق، من ولد أَبي بكر رضي الله عنه، فشكا إليّ حاله، فدفعت إليه ما فَضَل، ولم اشتر بْرذَوْناً.

واستبطأَني يحيى بن خالد، فأَخبرته الخبر، فوجه إلى البكري فسأله، فقال: نعم، أَخذت الدنانير منه، فلما صرت بها إلى البيت جاءني فلان الأنصاري، فشكا إليّ حاله، فدفعتها إليه!.

ووجه يحيى إلى الأنصاري يسأله: هل وجه البكري إليه المال؟ فأخبره الخبر، فتعجب يحيى بن خالد من الكرم، ثم أمر لي بألَف دينار - وللبكري بمثلها، وللأنصاري بمثلها، ولزوجتي بخمسمئة لغمها حين دفعت الدنانير إلى البكري.

٢- قال الواقدي: كان لي صديقان، أحدهما هاشمي، فنالتنا ضِيقة، فقالت لي امرأتي: أما نحن فنصبر على البؤس والشدة، وأما صبياننا فقد قطعوا قلبي، فلو نظرت إليهم في شيء تصرفه في صلاح شأنهم.

وكتبت إلى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة بما حضره، فوجه إليّ كيسا مختوماً، ذكر أنَّ فيه ألف درهم، فما استقر قراره حتى كتب إلي الصديق الآخر، يذكر مثل شكواي.

ووجهت إلى ذلك الصديق بالكيس كهيئتِه، وخرجت إلى المسجد فبت فيه حياء من امرأتي، ثم رجعت فاستَحَسنَت فعلي، إذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته، فقال: أصدقني عن الأمر، فأخبرته.

فقال الهاشمي: وجهت إليّ تسألني العون، وما أملك إلا ما بعثت به إليك. وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة، فوجه إليَّ بكيسي. بخاتمي؟

قال الواقدي: فتواسينا الألف وقسمناها بيننا ثلاثاً بعد أن أخرجنا إلى المرأة مئة درهم.

ونُمي الخبر إلى المأمون، فدعاني فشرحت له الأمر، فأمر لي بسبعة آلاف دينار، لكل واحد منا أَلفان، وللمرأة أَلف.

أمَانة العلم

قال القاضي بن خلِّكان في كتابه: «وفيات الأعيان»، في ترجمة داود بن علي الأَصبهاني الظاهري إمام الظاهرية المتوفى سنة ٢٧٠ هـ والذي انتهت إليه رياسة العلم ببغداد.

قال أَبو عبد الله المَحامِلي: صليت صلاة عيد الفِطر في جامع المدينة، فقلت: أَدخل على داود بن علي فأُهنيه، فجئته وإذا بين يديه طبق فيه أوراق هِنْدِباء[1] وعصارة من نخالة وهو يأكل، فهنأْته وعجبت من حاله، ورأيت أن جميع ما في الدنيا ليس بشيء.

وخرجت من عنده ودخلت على رجل من محبي الصنيعة ـ أي فعل الخير والكرم ـ يقال له: الجرجاني، فخرج إلي حاسر الرأس حافي القدمين، وقال لِي: ما عَنَّى القاضي؟! قلت: مُهم! قال: ما هو؟ قلت في جوارك داود بن علي، ومكانه من العلم ما تعلمه، وأنت كثير الصِّلة والرغبة في الخير تَغْفل عنه؟...... وحدَّثته بما رأَيت.

فقال الجرجاني: داود شَرس الخلق! وجَهت إليه البارحة بأَلف

(١) الهندباء: نوع من البقول، رخيص مبذول.

درهم ليستعين بها، فردَها عليَّ، وقال لغلام: قل له، بأي عينٍ رأيتَني؟ وما الذي بلغك من حاجتي وخَلَّتي حتى بعثت لي بهذا؟!.

قال المحامِلي: فعجبت وقلت للجُرجاني: هاتِ الدراهم، فإني أَحملها إليه، فدفعها إليَّ، وقال للغلام: ائتني بكيس آخر، فوزن ألفاً أخرى، وقال: تلك لنا وهذه لعناية القاضي. وأخذت له الألفين وجئت إليه، فقرعت الباب، ودخلت وجلست ساعة، ثم أخرجت الدراهم وجعلتها بين يديه، فقال: هذا جزاءُ من ائتمنك على سِّرِه؟!.

أَنا بأَمانة العلم أَدخلتك إلى... ! ارجع فلا حاجة لي فيما معك

قال المحاملي: فرجعت وقد صَغُرَت الدنيا في عَيْنيَّ، وأَخبرت الجرجاني، فقال: إني أَخرجت هذه الدراهم لله تعالى، فلا ترجع في مالي، فليتول القاضي إخراجها في أهل البر والعفاف.

اليسر بعد العسر

١ـ جمعت الرحلة بين محمد بن جرير الطبري ومحمد بن اسحق بن خُزيمة ومحمد بن نصر المَروَزي ومحمد بن هارون الرُّوياني بمصر، فارملوا ولم يبقَ عندهم ما يقُوتُهم، وأَضَرَّ بهم الجوع!

فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون إليه ـ يكتبون فيه الحديث ـ فاتفق رأيهم على أن يستهموا ويضربوا القرعة، فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام، فخرجت القرعة على محمد بن اسحق بن خُزيمة، فقال لأصحابه: أَمهلوني حتى أتوضأ وأُصلي

صلاة الخِيرَةَ ـ أي الاستخارة ـ فاندفع في الصلاة، فإذا هم بالشموع، خَصِيٌّ من قبل والي مصر يدقُّ الباب، ففتحوا الباب، فنزل عن دابته فقال: أيكم محمد بن نصر؟ فقيل: هو هذا! فأَخرج صرُة فيها خمسون ديناراً، فدفعها إليه.

ثم قال: أَيكم محمد بن جرير؟ فقالوا: هو هذا! فأخرج صرة فيها خمسون ديناراً فدفعها إليه.

ثم قال: أَيكم محمد بن إِسحق بن خزيمة؟ فقالوا: هو هذا يصلي، فلما فرغ من صلاته دفع إليه الصرة وفيها خمسون ديناراً.

ثم قال: أَيكم محمد بن هارون؟ وفعَل به كذلك.

ثم قال: إنَّ الأمير كان قائلاً بالأمس ـ أي نائماً وقت الظهيرة ـ فرأى في المنام خَيَالاً قال له: إنَّ المحامِد طووا كشحهم جياعاً، فأنفذ إليكم هذه الصرُّر، وأَقسم عليكم إذا نفدت فعرِّفوني.

٢ـ قال القاضي أبو علي الهاشمي: أذكر سنة من السنين وقد ضاق بي الأمر شيئاً عظيماً حتى بعت رحَل داري، ونفد جميعه. ونقضت الطبقة الوسطى من داري، وبعت أخشابها وتقوَّت بثمنها. وقعدت في البيت فلم أَخرج، وبقيت سنة فلما كان بعد سنة قالت لي المرأة: الباب يُدَقُّ! فقلت لها: افتحي الباب، ففعلت، فدخل رجل فسلّم عليَّ، فلما رأى حالي لم يجَلس حتى أنشدني وهو قائم:

ليس من شدة نصيبك إلاَّ ... سوف تمضي وسوف تُكشَف كَشفا
لا يَضيقُ ذرعُكَ الرَّحيب فإن النا ... رَ يعلو لهيُبها ثم تطفا

قد رأينا من كان أشْفى على الهُد ... ك فوافتْ نجاته حين أشفى

ثم خرج عني ولم يقْعُد، فتفاءلت بقوله. فلم يخرج اليومُ عني حتى جاءني رسول القادر بالله ومعه ثياب ودنانير وبغلة بمركب، ثم قال: أَجب أَمير المؤمنين! وسلَّم إِليّ الدنانير والثياب والبغلة، فغيرت عن حالي، ودخلت الحمام، وصرت إلى القادر بالله، فرد إِليَّ قضاءَ الكوفة وأَعمالها، وأَثرى حالي.

☆☆☆

عدلٌ عمريٌّ

تفقَّد عمر بنِ الخطاب رضي الله عنه يوماً إِبل الزكاة، فوجد بينها طائفة أنكرها لجودتها وسمنها وحسن العناية بها، فقال لعامله على إبل الزكاة: «لمن هذه الإبل؟!» فقال العامل: «إنها إبل عبد الله بن عمر» فقال: «ومَن عبد الله بن عمر؟!»، فقال العامل: «ابن أمير المؤمنين»، فقال: «عليَّ به»، فأحضروه.

فقال عمر رضي الله عنه لابنه: «بكم اشتريت هذه الإبل؟»

فقال عبد الله: «بمبلغ كذا يا أَمير المؤمنين».

قال عمر رضي الله عنه: «لك ما اشتريت به، وهي لبيت المال».

قال عبد الله: «وكيف ذلك يا أَمير المؤمنين؟!».

قال عمر رضي الله عنه: «نعم! يقولون: هذه إِبل ابن أَمير المؤمنين فارعوها.. هذه إِبل ابن أَمير المؤمنين فاسقوها...... هذه إِبل ابن أمير المؤمنين فلا تهيجوها.. لك ما اشتريت به، ثم هي لبيت مال المسلمين».

قدر النفس

بلغ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، أَن أَحد أَولاده اتخذ خاتماً واشترى له فصاً بألف درهم، فكتب إِليه: أما بعد. فقد بلغني أنك اشتريت فصاً لخاتمك بألف درهم، فبعه، واشبع بثمنه ألف جائع، واتخذ خاتماً من حديد، واكتب عليه: رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه»

ثلاثة عيوب

ثلاث منْ كنِ فيه كنَّ عليه: البغي، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾ [يونس: ٢٣].

والمكر، قال سبحانه: ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ [فاطر: ٤٣] والنكث، قال عز من قائل ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ [الفتح: ١٠].

ابدؤوا به

رفع قوم (شربوا الخمر) إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فأَمر بجلدهم، فقيل له: إنَّ فلاناً فيهم، وقد كان صائماً، فقال: ابدؤوا به، أَما سمعتم قول الله تعالى:

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾

[النساء: ١٤٠].

إذا عشنا متنا

كان القاضي عبد الوهاب بن علي المالكي البغدادي الفقيه المتوفى بمصر سنة ٤٢٢ هـ بقيةِ الناس ولسان أَصحاب القياس. له شعر معانيه أَجلى من الصبح، وأَلفاظه أَحلى من الظفر بالنُّجح.

نبتْ ببغداد، كعادة البلاد بذوي فَضْلها، فخلع أَهلها وودع ماءَها وظلها، فشيعه يوم فَصَلَ عنها من أكابرها وأَصحاب محابرها جملةٌ موفورة وطوائف كبيرة، فقال لهم: «لو وجدتُ بين ظَهرانيكم

رغيفين كل غداة وعَشِية، ما عدلْت عن بلدكم».

وفي ذلك يقول:

سلام على بغداد في كل مواطن ... وحقَّ لها مني سلامٌ مضاعفُ
فو الله ما فارقتها عن قِلىً لها ... بشَطَّيْ جانبيها لعَارِف
ولكنها ضاقت عليَّ بأسرها ... ولم تكن الأَرزاق فيها تُسَاعِف
وكانت كَخَلٍّ كنت أَهوى دُنُوه ... وأخلاقه تنأى به وتخالِف

ويقول في ذلك أيضاً:

بغداد دار لأهل المال طيِّبَةٌ ... وللمفاليس دار الضنَّك والضيِّقِ
ظللت حيران أمشي في أزَقِتها ... كأنني مصحَفٌ في بيت زنديق

ثم توجه إلى مصر، فحمل لواءَها، وملأ بالعلم أرضها وسماءَها. وتناهت إليه الغرائب، وانثالت في يديه الرغائب، فمات من أَكلة اشتهاها فأكلها، فقال وهو يتقلب في مرضه:

«لا إله إلا الله، إذا عِشْنَا مِتْنا».

وهو الذي يقول:

متى يصل العِطَاش إلى ارتواءٍ ... إذا استقَت البحار من الرَّكايا
ومَنْ يَثْنِي الأصاغرَ عن مراد ... إذا جلسَ الأكابرُ في الزوايا
وإن ترفَع الوُضَعاء يوماً ... على الرُّفعاءِ من إحدى الرَّزايا
إذا استوت الأَسافِل والأعالي ... فقد طلبَت مُنادمة المنايا

جعنا فعشنا

رحل عالم كبير من مدينة إلى أخرى طلباً للرزق الحلال لأنه لم

يكن يحصل على ما يسد به رمقه في مدينته الأولى.

وحين علم الناس بخروجه، ودّعوه وداعاً حاراً حيث خرجت المدينة كلها لتوديعه كباراً وصغاراً، وأغنياء وفقراءَ، وعلماءَ وطلاباً. فلما حان موعد الفراق، وأجهش المودِّعون بالبكاءِ حزناً على رحيل ذلك العالم الجليل عن مدينتهم.

وقال العالم الكبير لمودعيه: «والله لو وجدت رغيفاً كل يوم في بلدكم ما غادرته».

وفي مستقره الجديد، فتح الله عليه أبواب الرزق، فأَثرى وتأَثل، وأصبح يعيش في بحبوحة ورخاءٍ، ولكن الموت داهمه فلما حضرته الوفاة قال: «جعنا فعِشنا، فلما شبعنا متْنا».

أثقلكم حملاً

صعد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه المنبر إثر توليه الخلافة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أَما بعد. فإنه ليس بعد نبّيكم نبي، ولا بعد الكتاب الذي أُنزل عليه كتاب.

ألا إنَّ ما أحلَّ الله حلال إلى يوم القيامة، أَلا إِني لست بمبتدع ولكني متبع.

ألا إِنه ليس لأحد أَن يُطاع في معصية الله، أَلا إِني لست بخيركم ولكني رجل منكم، غير أنَّ الله جعلني أثقلكم حملاً.

سَبعة لا يشاورون

سبعة لا ينبغي لذى لب أَن يشاورهم: جاهل، وعدو، وحسود، ومراءٍ، وجبان، وبخيل، وذو هوى.

فإن الجاهل يضل، والعدو يريد الهلاك، والحسود يتمنى زوال النعمة، والمرائي واقف على رضا الناس، والجبان من دأبه الهرب، والبخيل حريص على المال، فلا رأي له في غيره، وذو الهوى أسيُر هواه لا يقدر على مخالفته.

جهَاد عالم

استدعى المندوب السامي الفرنسي في سورية الشيخ عبد الحميد الجزائري وقال له: إما أَن تقلع عن تلقين تلاميذك هذه الأفكار، وإلاَّ أرسلت جنوداً لإغلاق المسجد الذي تنفث فيه هذه السموم ضدنا وإخماد أصواتكم المنكرة.

فأجاب الشيخ عبد الحميد: أيهُّا المسيو الحاكم إنك لا تستطيع ذلك!!.

واستشاط المسيو غضباً وقال: كيف لا أستطيع!.

قال الشيخ: إذا كنت في عرس علمت المحتفلين، وإذا كنت في مأْتم وعظت المعزِّين، وإن جلست في قطار علَّمت المسافرين، وإن دخلت السجن أَرشدت المسجونين، وإن قتلتموني التهبت مشاعر المواطنين، وخير لك أيها المسيو ألا تتعرض للأمة في دينها ولغتها.

عز التقوى

لما قَدِمَ الإمام الشافعي مصر، قال له عبد الله بن الحكم: إذا أَردت أَن تسكن هذا البلد، فليكن لك قوت سنة، ومجلس من السلطان تتعزز به.

فقال له الإمام الشافعي رضي الله عنه: يا أَبا محمد! مَنْ لم تعزه التقوى فلا عزّ له.. ولقد ولدت بغزَّة، ورُبيت بالحجاز، وما عندنا قوت ليلة، وما بتنا جياعاً قط..

عشرةٌ لاتُقَال

دخل الحسن البصري رضي الله عنه على عبد الله بن الأهتم يعوده في مرضه، فرآه يصوِّب بصره في صندوق في بيته ويُصَعّده ثم قال: أبا سعيد! ما تقول في مئة أَلف في هذا الصندوق لم أَؤدِّ منها زكاة، ولم أَصِل منها رحِماً؟.

قال الحسن: ثَكِلَتْك أُمكَ، ولمن كنتَ تجمعُها!

قال ابنَ الأهتم: لروعَةِ الزمان، وجَفْوَة السلطان، ومُكَاثرة العشيرة.

ثم مات ابن الأهتم، فَشَهِده الحسن، فلما فرَغَ من دفنه، قال: أُنظروا إلى هذا المسكين، أتاه شيطانه، فحذره رَوْعة زمانه، وجفوة سلطانه، ومُكاثرة عشيرته، عما رزقه الله إياه وغمره فيه. أُنظروا، كيف خرج منها مَسْلوباً محروماً.

ثم التفت إلى الوارث فقال: أَيها الوارث! لا تُخْدَعَنَّ كما خُدِعَ

صُويحبُك بالأمس. أتاك هذا المال حلالاً، فلا يكوننَّ عليك وبالاً. أَتاك عفواً صَفواً، ممن كان له جَموعاً مَنُوعاً. من باطل جمعه، ومن حق مَنَعَه. قطع فيه لُجَجَ البحار، ومفاوِز القِفار. لم تكدح فيهِ بيمينٍ، ولم يعرَق لك فيه جَبِين. إن يوم القيامة يوم ذوات حسرات، وإن من أَعظم الحسرات غداً أَن ترى مالك في ميزان غيرك. فيا لها عَثَرة لا تُقال، وتوبة لا تنال.

علامَ حزنك؟

مرَّ الإمام الفقيه الجُنَيْد بن محمد البغدادي على رجل فرآه مهموماً مكروباً، فتبسم له وقال: يا أَخي! أتَخشى أَن ينقص من أَجلك ساعة؟ قال: كلا.

قال الجنيد: أيفوتك رزق قدره الله لك؟ قال: كلا.

قال الجنيد: أيحدث لك شيء لم يقدِّره الله لك؟ قال: كلا فقال له: فَعَلاَمَ حزنك؟

عالم يعظ خليفة

دخل أبو عمر وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي على أبي جعفر المنصور فقال له: أَنت أَصبحت من هذه الخلاقة بالذي أصبحت به، والله سائلك عن صغيرها وكبيرها، وفتيلها ونقيرها. ولقد حدّثنا عروة بن رُوَيم أنّ رسول الله ﷺ قال: «ما من راع يبيت غاشاً لرعيته إلا حرَّم الله عليه رائحة الجنة»، فحقيق على الوالي أن يكون لرعيته ناظراً، ولما استطاع من عوراتهم ساتراً، وبالقسط فيما بينهم قائماً، لا يتخوَّف محسنهم منه رهقاً، ولا مسيئهم عدواناً.

لقد كانت بيد رسول الله ﷺ جريدة يستاك بها ويردع عنه المنافقين، فأتاه جبريل فقال: يا محمد! ما هذه الجريدة بيدك؟ اقذفها لا تملأ قلوبهم رعباً. فكيف من سفك دماءُهم، وشقق أَبصارهم، وأَنهب أَموالهم؟!.

يا أَمير المؤمنين! إن المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأَخر، دعا إِلى القصاص من نفسه لخدش خدشه أعرابياً لم يتعمده، فهبط جبريل فقال (يا محمد!! إن الله لم يبعثك جباراً تكسر قرون أمتك).

إن الدنيا تنقطع ويزول نعيمها، ولو بقى الملك لمن قبلك، لم يصل إِليك.

يا أَمير المؤمنين! ولو أَن ثوباً من ثياب أَهل النار علق بين السماءِ والأَرض لأذاهم، فكيف بمن يتقمصه؟! ولو أن ذَنوباً[1] من صديد أَهل النار صب على ماء لأَجنَّه[2] فكيف بمن يتجّرعه؟ ولو أن حلْقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لذاب، فكيف بِمن سلك فيها، ويُرد فضلها على عاتقه؟!.

واعلم أَنّ السلطان أَربعة: أمير يظْلَف[3] نفسه وعماله، فذلك له أجر المجاهدين في سبيلِ الله وصَلاته سبعون أَلف صلاة، ويد الله بالرحمة على رأسه ترفرف.

---

(١) الذَنوب: الدلو العظيمة.

(٢) أجن الماء: تغير طعمه ولونه ورائحته.

(٣) يظلف: ينزه. ويظلفها: ينزهها.

وأَمير رتع ورتع عماله، فذلك يحمل أَثقالاً وأَثقالاً مع أَثقاله.
وأَمير يظلف نفسه ويرتع عماله، فذلك الذي باع آخرته بدنيا غيره.

وأَمير يرتع ويظلف عماله، فذلك شر الأكياس.

تأدية لحق الله

قال الشيخ الصالح أَبو نصير الطائي لسليمان بن عبد الملك ابن مروان: سأطلق لساني بما خرست عنه الألسن تأديةً لحق الله تعالى.

إنه قد اكتنفك رجال أساءُوا الاختيار لأنفسهم، وابتاعوا دنياك بدينهم، ورضاك بسخط ربهم، وخافوك في الله، ولم يخافوا الله فيك، فهم حرب للآخرة، وسلم للدنيا، فلا تأْمنهم على ما ائتمنك الله عليه، فإنهم لم يأْلوا الأَمانة تضييعاً، والأمة كسفاً وخسفاً، وأنت مسؤول عما اجترموا، وليسوا مسؤولين عما اجترمت، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك، فإن أعظم الناس عند الله غبناً من باع آخرته بدنيا غيره.

وقد كان لتلك الكلمات تأثير في بطانة سليمان، ولم ترفع رأَسها بِشَرّ حتى وفاته.

التواضع للعلم

أَرادَ هارون الرشيد أَن يحضر إِليه الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه من المدينة النبوية إِلى بغداد ليأْخذ عنه الحديث والفقه، فلم يرضَ مالك وقال: «العلم يُرحل إِليه ولا يَرحل لطالبه».

ولما حجّ هارون الرشيد ـ وكان رضي الله عنه يحج عاماً ويغزو

عاماً ـ أَطال لبثه بالمدينة، لأخذ الفقه والحديث عن مالك.

وأَراد هارون الرشيد أَن يحضر إِليه سفيان رضى الله عنه من مكة المكرمة إِلى بغداد، ليأْخذ عنه الحديث والفقه، فحضر إِليه سفيان وأسمعه ببغداد ما شاء الله أن يسمعه.

وكان تعليق هارون الرشيد بعد هذا قوله: «تواضعنا لعلم مالك فانتفعنا به، وتواضع لنا علم سفيان فلم ننتفع به».

عجبت. . . !

قال الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه: عجبت لمن ابتلى بخمس كيف يغفل عن خمس!.

عجبت لمن ابتلى بالضر، كيف يذهب عنه أَن يقول.

(إِني مسني الضر وأَنت أَرحم الرّاحمين)، والله تعالى يقول: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

وعجبت لمن ابتلى بالغم، كيف يذهب عنه أن يقول: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، والله تعالى يقول: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

وعجبت لمن خاف شيئاً، كيف يذهب عنه أَن يقول: ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، والله تعالى يقول: ﴿ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

وعجبت لمن مكر به كيف يذهب عنه أَن يقول: ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ

﴿إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۝٤٤﴾ [غافر: ٤٤]، والله تعالى يقول: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٥﴾ [غافر: ٤٥].

وعجبت لمن أنعم الله عليه بنعمة خاف زوالها، كيف يذهب عنه أَن يقول: مَا شاءَ الله لاَ قوةَ إلاَّ بِالله، والله تعالى يقول: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [الكهف: ٣٩].

إمّا عدلت..!

يروى عن جعفر بن يحيى البرمكي أنه رُفع إِليه كتاب ـ يشتكي فيه عامل، فوقع على ظهره: يا هذا قلّ شاكروك، وكثر شاكوك، فإما عدلت، وإما اعتزلت.

وأَخذ العامل الظلوم درسه من هذا التوقيع الجازم الحصيف، فحسنت سيرته وعدل بين الناس، فكثر شاكروه وقلّ شاكوه.

قرآن الفجر

كانت عائلته مؤلفة من زوجة وابنتين صغيرتين، وكان يعيش في دار متواضعة في بلد غير بلده، بعيداً عن أَهله.

وتذكر قبل مغادرة داره قراءَة آية الكرسي، فقرأَها ودعا الله أَن يخلفه في أَهله ويحرسهم ويدافع عنهم.

وسافر في يوم من الأيام بمهمة رسمية إلى بلد بعيد، فقال له أَهله: لمن تتركنا ونحن هنا غرباءُ؟ فقال: لله.

وكان رب العائلة معروفاً، فعرف الناس بأَمر سفره، فعزم

جماعة من اللصوص أَن يسطوا على داره.

وفي الهزيع الأخير من الليل، سمع أَهله وَقْع أقدام في الحديقة الخارجية، ثم سمعوا صوت معالجة الباب الداخلي المطل على الحديقة، ثم سمعوا فتح الباب ودخول قسم من الرجال الدار.

ولجأَتْ الطفلتان الصغيرتان إلى أَحضان أُمهما، وكانت أُمهما ترتجف هلعاً، فتضيف إلى خوف الطفلتين خوفاً جديداً.

وكان الفجر قد أَقبل، وفَجأَة ساد سكون روحاني أَرجاء الدار، أدخل الاطمئنان في نفوس الطفلتين ووالدتهما، وجعل اللصوص يهربون لا يلْوون على شيء.

لقد انبعث صوت مقرىء يرتل القرآن ترتيلاً، وكان صوته جهورياً، واستمرت التلاوة نحو نصف ساعة، عاد خلالها الاطمئنان إلى سكّان الدار، وتخلص أَهله من شر اللصوص.

وحين أَشرقت الشمس في اليوم التالي، نزل أَهل الدار إلى الطابق الأسفل الذي كان مسرح حوادث الهزيع الأخير من الليل فإذا بالباب الداخلي مفتوح، وإذا بآثار اللصوص بادية للعيان.

حرس الله أَهله ودافع عنهم، وكان نعم الخلف لعائلته.

لقد استجاب الله الدعاء.

القديم والجديد

مات رجل عن ثلاثة بنين، وكان بين تركته بطيخة جميلة، إِعتز بها الأولاد بقدر إِعزازهم ذكرى أبيهم الراحل، لأنها ثمرة غرسه

وتعهده، واعتبروها خير بطيخة أُخرجت للناس، وأَبوا أَن يمارى في ذلك أَحد.

وحفظ الأولاد تلك البطيخة في وضع من البيت حريز، ولكن الزمن أَفسدها، فانتشرت منها رائحة خبيثة ملأَت المنزل كلَّه.

وجلس الأولاد يتشاورون فيما يصنعون إِزاءَ هذا الخطب!

أما أولهم، فقد دعا إِلى الاحتفاظ بها رغم كل شيء، ولو تعرضوا بسببها للهلاك، وقال: «إِن حكمة أَبينا لم تكن فوقها حكمة، وما نحن بقادرين على أَن نأتي بخير منها، بل إِنا لعاقون أَن نحاول من ذلك شيئاً».

ولكن ثانيهم ذهب إِلى عكس هذا الرأي فقال: «يجب أَن نلفظ هذا الشيء القذر ونشتري بطيخة جديدة، فإِنه من المخجل لنا أَن نحتفظ بهذه البطيخة الفاسدة، ولئن نفعل لنكونن مثلاً في الناس، فوق ما نتعرض له من التسمم بما تحوي من جراثيم الداء. وكل بطيخة هي مثل بطيختنا، بل خير منها، بعد ما انتابها من سوءٍ».

وقال الثالث: «هيا نرمي البطيخة بعد أن نستخلص منها لبها، فنبذره، فيخرج لنا بطيخاً جديداً، تتصل الوشائج بينه وبين تراث أَبينا. أَما الاحتفاظ بالبطيخة الفاسدة حتى يأْتي الدور عليها جميعاً، فمجلبة للسخرية والأَمْراض، ومضيعة للبطيخة ذاتها. وأَما رميها برمتها والاعتياض عنها بجديدة نبتاعها، فتبديد لتُراث أَبينا وللنقود التي نؤديها في ثمن هذه وأَثمان غيرها، وما نشتريه جديداً لا بد أَن يجري عليه من الفساد مثل ما جرى على بطيختنا إِن نحن احتفظنا به

قدر احتفاظنا بها. إن التجديد هو ملاك الحياة، بيد أَن كل جديد ينبغي أَن يتولَّد من بذور الماضي، وأَن تقوم بذوره في أَرض الماضي، ولو تغيرت الفروع لتتواءَم مع مقتضيات الفصول، وتناولها التطعيم لتجويد الثمار».

«وظفرت هذه النصيحة بقبول الأَخوين معاً».

خلق صحَابي

لما نزل قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ ﴾[الحجرات: ٢]، أغلق ثابت بن قيس عليه داره، وطفق يبكي.

وافتقده النبي ﷺ، فسأَل عنه، ثم أَرسل مَنْ يدعوه. وجاءَ ثابت، فسأَله رسول الله ﷺ عن سبب غيابه فأَجابه: «إني امرؤُ جهير الصوت، وقد كنت أَرفع صوتي فوق صوتك يا رسول الله، وإذن فقد حبط عملي، وأَنا من أَهل النار».

وأَجابه النبي ﷺ: (إنك لست منهم، بل تعيش حميداً، وتقتل شهيداً، ويدخلك الله الجنة).

وصدق رسول الله عليه أَفضل الصلاة والسلام، فقد استشهد ثابت في موقعة (اليمامة).

رضي الله عن ثابت بن قيس وأَرضاه.

لا تسبوه

مرَّ أَبو الدرداءِ رضى الله عنه يوماً على رجل قد أَصاب ذَنْباً والناس يسبونه، فنهاهم وقال: «أَرأَيتم لو وجدتموه في حفرة، أَلم تكونوا مخرجيه منها؟!».

قالوا: بلى!

قال: «فلا تسبوه إذن، واحمدوا الله الذي عافاكم».

قالوا: أَفلا تبغضه؟!

قال: «إِنما أَبغض عمله، فإذا تركه فإنه أَخي».

دعوة سعد

كان سعد بن أَبي وقاص رضي الله عنه مستجاب الدعوة فسمع رجلاً يسب عليّاً وطلحة والزبير رضي الله عنهم، فنهاه، فلم ينته.

وقال سعد للرجل: «إذن أَدعو عليك».

فقال الرجل: «أَراك تهددني، كأَنك نبيٌّ؟».

وانصرف سعد وتوضأَ وصلَّى ركعتين، ثم رفع يديه وقال: «إن كنتَ تعلم أَن هذا الرجل قد سبَّ أَقواماً سَبَقَت لهم منك الْحُسني، وأَنه قد أَسخطكَ سبه إِياهم، فاجعله آية وعبرة».

ولم يمضِ غير وقت قصير، حتى خرجت من إحدى الدور ناقة لا يردها شيءٌ، حتى دخلت في زحام الناس، كأَنها تبحث عن شيءِ، ثم اقتحمت الرجل، فأَخذته بين قوائمها، وما زالت تتخبطه حتى مات.

رؤيا ابن عمر

١ ـ قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: «رأَيت على عهد رسول الله ﷺ، كأَن بيدي قطعة استبرق، وكأَنني لا أُريد مكاناً من الجنة إلا طارت بي إليه. ورأيت كأَن اثنين أَتياني، وأَرادا أَن يذهبا بي إلى النار، فتلقاهما مَلَك، فقال: لا تُرَع، فخليا عني.

«فقصت حفصة أُم المؤمنين رضي الله عنها ـ أختي ـ على النبي ﷺ رؤْياي، فقال، نِعْمَ الرجل عبد الله، لو كان يُصَلِّي من الليل فيكثر».

ومن ذلك اليوم إلى أَن لقي ربه، لم يدع عبد الله قيام الليّل لا في حِلّه ولا في ترحاله.

دواء هاضم

أَهدى يوماً صديق لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما وعاءً مملوءاً، فقال ابن عمر: «ما هذا؟!».

قال الصديق: «دواءٌ عظيم جئْتك به من العراق».

قال ابن عمر: «وما يطيب هذا الدواء؟».

قال الصديق: «يهضم الطعام».

وابتسم عبد الله وقال لصاحبه: «يهضم الطعام؟!.... إني لم أَشبع من طعام قط منذ أَربعين عاماً».

أنكى الأعداء

دأَب رجل شرير أَن يدعو كل يوم: «اللهم اجعل سيفك في

رقاب أَعدائي».

ولكن الأيام مضت وأَعداؤه بخير، فنفد منه الصبر، وأَلح في الدعاء.

وأوى الرجل إلى فراشه يوماً، واستغرق في نوم عميق، فرأى فيما يراه النائم، سيفاً صقيلاً ينطلق صوبَ عنقه هو، حتى صار منه قاب قوسين أَو أَدنى، فصاح مرتعداً: إنما سأَلتك يا رب، رقاب أَعدائي، ولم أَسأَلك عنقي».

واستيقظ مرعوباً، وقصد رجلاً صالحاً، وَقصَّ عليه رؤْياه، فأَجابه الرجل الصالح. «أَنت شر عدو لنفسك، فإن أَجاب الله دعاءَك، بدأ بك، بفعلك السوءِ، وقولك الأَسوأَ، وأَفكارك الآثمة، إِذ بلغت من إيذاءِ نفسك مالم يبلغه جملة أَعدائك».

وأخذ درسه، وتاب إلى الله توبة نصوحاً.

أعيانا فراراً

لقى أَبو جعفر المنصور سُفيان الثوري في الطواف، وسفيان لا يعرفه، فضرب بيده على عاتقه وقال: «أَتَعرِفني؟».

قال سفيان: «لا، ولكنك قبضت عليَّ قبضة جبار».

قال أَبو جعفر: «عِظْني أَبا عبد الله».

قال سفيان: «وماذَا عَمِلْتَ بما عَلِمت، فأَعِظَك فيما جَهِلت؟!».

قال أَبو جعفر: «فما يمنعك أَن تأْتينا؟».

قال سفيان: «إن الله نهى عنكم، فقال تعالى: ﴿ولا تَرْكَنُوا إلىَ الَّذينِ ظَلَمُوا فتَمَسَّكُم النار﴾ [هود: ١١٣].

فمسح أبو جعفر يده به، ثم التفت إلى أَصحابه، فقال: «أَلْقَينَا الْحَبَّ إلى العلماءِ فلقطوا، إلاّ ما كان من سفيان، فقد أَعيانا فِراراً».

☆☆☆

ابن السَماك عند الرشيد

١ـ دخل ابن السماك رضى الله عنه على هارون الرشيد يوماً، فلما وقف بين يديه قال له: عظني يا ابن السماك وأوجز» قال: «كفى بالقرآن واعظاً يا أَمير المؤمنين، قال تعالى»: (بِسْمِ الله الرحْمنِ الرَحِيمِ) ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ [المطففين: ١ـ ٦]. هذا يا أمير المؤمنين وَعِيدٌ لمن طَفَّفَ في الْكَيل، فما ظَنُّك بمن أَخذه كلّه؟؟!!».

٢ـ وقال له مرة وأُتِيَ بماءٍ ليشَربه فقال: «يا أَمير المؤمنين لو حُبِسَتْ عنك، هذه الشرَّبة، أَكنتَ تَفْدِيها. بِملْكِك؟». قال: «نعم». قال: «فلو حُبِسَ عنك خروجُها أَكْنتَ تَفْديها بُملكك؟». قال: «نعم». قال: «فما خَيْرٌ في مُلْكٍ شَرَبةٌ ولا بَوْلَة؟؟!!».

٣ـ قال الرشيد لابن السماك يوماً: «مَا أَحسَن ما بَلَغِني عنك! قال: يا أَمير المؤمنين إنَّ لي عُيوباً لو اطلع الناس منها على عيبٍ واحد، ما ثَبَتْ لي في قلب أَحدٍ مودة، وإني لخائف في الكلام الفِتْنَة، وفي السرِّ الغِرَّة[1]، وإني لخائف على نفسي من قِلَّة خوفي عليها».

شكوتموني

إن ابن المقرىءَ يقول: كنت أَنا والطبراني وأَبو الشيخ ـ ابن

(١) الغرة: بكسر الغين: غفله في اليقظة.

حَيَّان ـ بالمدينة، فضاق بنا الوقت ـ يعني فراغَ أَيديهم من النفقة ـ فواصَلْنا ذلك اليوم[1].

فلما كان وقت العشاءِ، حضرت القبرَ وقلت: يا رسول الله! الجوع! فقال الطبراني: اجلِسْ! فإما أَن يكون الرزق أَو الموت.

وقمت أَنا وأَبو الشيخ ـ أَي قاما يصليان لوجه الله ـ فحضر الباب عَلَويٌ ففتحنا له، فكان معه غلامان بقفَّتَين فيهما شيء كثير، وقال: شكوتموني إلى النبي ﷺ؟؟ رأَيته في النوم، فأَمرني بِحَمْلِ شيءٍ إِليكم.

الصدفة اليتيمة

قال الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه: وكنت أَقتات بخرنوب الشَّوك وقمامة البَقْل[2] وورَق الْخَس من جانب النهر والشط. بَلغتْ الضائقة في غلاءٍ نزل ببغداد، إلى أَن بقيتُ أَياماً لم آكل فيهَا طعاماً، بل كنت أَتَتَبع المنبوذات أَطْعَمُها.

وخرجت يوماً من شدة الجوع إلى الشَّط، لعلي أَجد ورق الخس أَو البقل أَو غير ذلك فأتقوت به، فما ذهبت إلى موضع إِلا وغيري قد سبقني إليه، وإِن وجدت أجدُ الفقراء يتزاحمون عليه فأَتركه حُباً.

ورجعت أَمشي وسط البلد، فما أُدرِك منبوذاً إِلاَّ وقد سُبِقتُ

---

(١) أي: صمنا ذلك اليوم إلى صيام اليوم الذي قبله.

(٢) البقل: نبات عشبي يتغذي الإنسان به أو بجزءٍ منه دون تحويله صناعياً.

إليه، حتى وصلت إلى مسجد ياسين بسوق الرياحين ببغداد، وقد أَجهدني الضعف وعجزت عن التماسك؛ فدخلت إليه وقعدت في جانب منه، وقد كدت أُصافح الموت...... إذ دخل شاب أَعجميّ ومعه خبز صافٍ وشواءُ، وجلس يأكل، فكنت أَكادُ كلما رفع يده باللقمة أَفتح فمي من شدة الجوع حتى أَنكرت ذلك على نفسي، فقلت: ما هذا؟ وقلت: ما ها هنا إلا الله أَو ما قضاه من الموت إذ التفت إِليَّ العجمي فرآني فقال: بسم الله يا أَخي! فأبيت، فأَقسم عليَّ، فبادَرَتْ نفسي، فخالفتها، فأَقسم أَيضاً، فأَجبته، فأَكلت متقاصراً، فأَخذ يسأَلني: ما شغْلُكَ؟ ومن أَين أَنت؟ وبَمنْ تعرَف؟ فقلت: أَنا مُتَفَقِّه من جِيلان. فقال: وأَنا من جيلان، فهل تعرف شاباً جيلانياً يسمى: عبد القادر، يعرف بسبط أَبي عبد الله الصَّوْمَعِي الزَّاهد؟ فقلت: أَنا هو.

فاضطرب وتغيرَّ وجهُه وقال: والله لقد وصلت إلى بغداد ومعي بقية نفقة لي، فسأَلت عنك، فلم يُرشِدني أَحد. ونَفِدت نفقتي ولي ثلاثة أَيام لا أَجدُ ثمن قُوتي إلاَّ ما كان لك معي، وقد حلَّت لي الْميتة، وأَخذت من وديعتك هذا الخبزَ والشواءَ، فكُلْ طيباً، فإنما هو لك، وأَنا ضيفك الآن بعد أَن كنتَ ضيفي.

وقلت له: وما ذاك؟! فقال: أُمُّكَ وجَّهَتْ لك معي ثمانية دنانير، فاشتريت منها للإضطرار، فأَنا معتذر إليك. !

فَسَكَنْتُه وطيَّبت نفسه، ودفعت إليه باقي الطعام وشيئاً من الذهب برسم النفقة، فقَبِلَه وانصرف.

القول الليّن

قال رجل لهارون الرشيد رضي الله عنه: «إني أُريد أَن أَعِظَك بعِظَة فيها بعض الْغِلْظَة فاحتَمِلْهَا».

قال الرشيد: «كلا! إنَّ الله أَمَرَ مَن هو خير منك بإلانَةِ القول لمن هو شر مني، قال لنبيِّه موسى عليه السَّلام إذ أَرسله إلى فِرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤]....».

كلمات من نور

١ـ قال عَلْقَمَة بن قيس النَّخعي لأَسودَ بن يزيد: كم تَعَذِّبُ هذا الْجسدَ الضَّعيف؟ قال: لا تنال الراحة إلا بالتَّعب.

٢ـ وقيل لآخر: لو رفقت بنفسك! قال: الخير كلّه فيما أُكرهت النفوسُ عليه، قال النبي ﷺ: (حُفتِ الْجَنّةُ بالمكاره).

٣ـ وقيل لَمسَرُوق الأَجدَع: لقد أَضررتَ ببدنك! قال: كرامَتهُ أُريد.

وقالت له امرأَته فَيْروز لما رأَته لا يُفْطِر من صيام، ولا يَفْتَر عن صلاة: ويلك يا مَسروق! أَما يَعبُدُ الله غيرُك؟! أَما خُلِقَت النّارُ إلاّ لك!؟ قال لها: وْيَحكِ يا فيروز!! إنّ طالب الجنّة لا يَسْأَم، وهاربَ النار لاَ يَنام!.

٤ـ وشَكتْ أَم الدَّردَاءِ إلى أَبي الدَّرداءِ رضي الله عنهما الحاجة، فقال لها: تَبَرَّيْ، فإنّ أَمامنا عَقَبَةً كؤوداً لا يجاوزها إلا أَخف النّاس حِملاً.

٥ـ ومرَّ أَبو حازم بسوق الفاكهة فقال: مَوعدك الجنّة. ومرَّ بالجزَّارين فقال له: يا أَبا حازم! هذا لحم سمين، فاشْتَرِ! قال: ليس عندي ثمنه. قالوا: نؤَخِّرك. قال: أَنا أُؤَخر نفسي.

٦ـ وكان عليٌّ بن الحسين رضي الله عنهما إذا قام للصّلاة أَخذته رِعْدَةٌ، فَسئِل عن ذلك، فقال: وَيْحكُمُ! أَتدرون إِلى مَن أَقوم ومَن أُريد أَن أُناجي؟!.

٧ـ وقيل لمحمد بن علي بن الحسين أَو لعلي بن الحسين رضي الله عنهم: ما أَقلَّ وَلَدَ أَبيك! قال: الْعَجَبُ كيف ولِدت له! وكان يصلي في اليوم والليلة أَلف ركعة، فمتى يَتَفرَّغ للنساءُ؟ وحجّ خمسة وعشرين حِجَّة راجلاً.

٨ـ وشكا أَهل الكوفة إِلى الْفُضيَل بن عِياض رضي الله عنه القَحْطَ فقال: أَمُدَبِّراً غير الله تريدون؟!.

٩ـ وشكا الناس إِلى مالك بن دِينار القحطَ، فقال: أَنتم تَستبطِئون المطر، وأَنا أَستبطِيءُ الحجارة.

١٠ـ وقيل لأَهل مكّة: كيف كان عَطَاءُ بن أَبي ربَاح فيكم؟ قالوا: كان مثلَ العافية التي لا يُعرَف فضلها حتى تفْقَد.

وكان عطاءُ أَفْطَس أَشَلَّ أَعرج ثم عمِيَ، وأُمه سوداءَ تسمّى بَرَكَة.

١١ـ وكان الأَوقص المخْزميّ قاضياً بمكة، فما رُئِيَ مثله في عفافه وزهده، فقال يوماً لجلسائه: قالت لي أُمي: يا بني! إِنك

خلِقْتَ خِلقَة لا تصلح معها لمجامع الفتيان عند القِيان، إنك لا تكون مع أَحدٍ إلاَّ تَخَطَّتْكَ إليه العيون، فعليك بالدِّين فإنّ الله يرفع به الخسِيسَة، وَيُتِمُّ به النقيصة.

ونفعني الله بكلامها، وأَطَعتها فوُلِّيْت القضاء.

١٢ـ قال عبد الأعلى بن حَمَّاد: دخلت على بِشرْ بن منصور وهو في الموت، فإذا به من السرُّور في أمر عظيم، فقلت له: ما هذا السرور؟! قال: سبحان الله! أخرج من بين الظالمين والباغين والحاسدين والمغتَابين، وأَقْدَم على أَرحم الرّاحمين ولا أُسَرّ؟!.

١٣ـ حجَّ أميرٌ، فبلغه من عابدٍ بمكة مجُاب الدَّعوة معتزِلٍ في جبال (تِهامة)، فأَتاه الأمير، فسأَله عن حاله، ثم قال له: أَوْصِنِي ومُرْني بما شِئْتَ، فو الله لا عَصَيْتكَ! فسكت عنه ولم يَرُدّ عليه جواباً.

وخرج عنه الأميـر، فقال له أَصحابه: ما مَنعَك إِذ سأَلك أَن تَأْمُرَهُ بما شِئْتَ، وقد حَلَف أَن لا يَعصِيك، أَن تأْمرهُ بتقوى الله، والإحسان إلى رَعِيَّته؟ فَخَطَّ لهم في الرَّمل: إِني أَعظَمْتُ الله أَن يكون يأْمُرُه فيَعْصِيه، وآمُره أَنا فيطيعني.

ورع أحمدبن حنبل

١ـ قال يحيى بن مَعِين: لما خرجنا إلى عبد الرزاق إلى اليمن، حججنا، فبينا أنا بالطواف إذا عبد الرزاق بالطواف فسلّمت عليه، وقلت له: هذا أخوك أحمد بن حنبل، فقال: حيّاه الله وثبّته، فإنه بلغني عنه كلُّ جميل. فقلت لأحمد: قد قرَّب الله خطانا، ووفَّر

علينا النَّفقة، وأراحنا من مسيرة شهر. فقال أحمد: إني نويت ببغداد أن أسمع من عبد الرزاق بصنعاء، والله لا غيَّرت نِيّتي.

قال يحيى: فلما خرجنا إلى صنعاء، نَفِدَت نفقة أحمد، فَعَرَضَ علينا عبد الرزاق دراهم كثيرة، فلم يقبلها. فقال له، اقبلها على وجه القرض، فأبى وعَرَضنا عليه نفقاتنا، فلم يقبل، فأطلعنا عليه، وإذا به يعمل التِّكك ويُفْطر على ثمنها.

٢ـ ولما كان أحمد بن حنبل رضي الله عنه باليمن، رهن سَطْلاً عند بقَّال بحضور أحمد بن داود الشّاذكوني، وأخذ منه ما يتقوَّت به.

ثم جاء بفكاك سطله، فأخرج إليه البقّال سطلين وقال لأحمد: أيُّهما سَطْلَك فخذه. فقال أحمد: قد اشْتَبَهَ عليَّ، أنت في حِل من السَّطْل وفَكَاكِهِ. فقال الشَّاذكوني للبقّال: أخرجت سطلين إلى رجل من أهل الورع، والسُّطول تتشابه، فقال: والله إنه لسطله بعينه، وإنما أردت امتحانه.

هاربٌ بدينه

قال عبد الله بن العَلاَءِ: خرجنا حُجَّاجاً من المدينة، فلما كنا بالحُلَيْفَة نزلنا، فوقف علينا رجل عليه ثياب رثَّة، له منظر وهَيْئَة، فقال: مَن يبغي خادماً؟ مَن يبغي ساقياً؟ مَن يملأ قِربة أو إدَاوَة؟ فقلنا: دونك هذه القِرَب فاملأها.

وأخذ القِرَب وانطلق، فلم يلبث إلا يسيراً حتى أقبلَ، وقد امتلأت أثوابه طيناً، فوضعها وهو كالمسرور الضَّاحك ثم قال: لكم

غير هذا؟ قلنا: لا.

وأَطْعَمْنَاهُ قارِصاً حازراً[1]، فأخذه وحِمَدَ الله وشَكره، ثم اعتزل وقعد يأكل أكل جائع، فادركتني عليه الرّقة، فقمت إليه بطعام طيِّب كثير، وقلت: قد علمت أنه لم يَقَع منك القارص موقعاً، فدُونَك هذا الطعامَ فَكُلْهُ.

ونظر في وجهي وتبسَّم، وقال: يا عبدَ الله! إنَّما هي فَوْرَةُ هذه النار[2] قد أطفأتها... وضرب على بطنه، فرجعت وقد انكسف بالي لما رأيت من هيبته. فقال لي رجل كان إلى جانبي: أتعرفه؟ قلت: ما أعرفه. قال: هذا رجل من بني هاشم، من وَلد العباس بن عبد المُطَّلِب، كانَ يسكن البصرةَ، فتاب وخرج منها ففُقِد وما يُعرف له أثر.

وأعجبني قول الرجل، ثم لحقت بالرجل الهاشمي وناشدته الله، وقلت له: هل لك أن تعَادِلني، فإن معي فَضْلاً من راحلتي، وأنا رجل من بعض أخوالك؟ فجزاني خيراً، وقال: لو أردت شيئاً من هذا، لكان لي معدّاً.

ثم أنِسَ وجعل يُحدِّثني وقال: أنا رجل من ولدِ العباس، كنت أسكن البصرةَ، وكنت ذا كِبْرٍ شديد وجَبَروت وبَذَخ، وإني أَمرت خادماً أن تحشوَ لي فِراشاً ومَخِدَّة حرير بوردِ كثير، ففعلَتْ. فإني لنائم، إذ أيقظتني قِمَع وردة أغفلته الخادم، فقمت إليها فأوجعتها

(١) القارص: اللبن يحذي اللسان. والحازر: الحامض.

(٢) يريد الجوع. أي أنه كان جائعاً فأطفأ نار الجوع بالطعام الذي تناوله.

ضرَباً. ثم عُدت إلى مَضْجَعي بعد أن خَرج ذلك القِمَع من المِخَدَّة، فأتاني آتٍ في منامي في صورة فَظِيعة، فَنَهَرَني وزبَرَني[1]، وقال: أفِقْ من غَشْيَتكَ وأبصرِ من حَيْرَتِكَ، ثم أنشأ يقول:

يـا خَـدُّ إنّـك إن تُـوَسَّـد لَيِّناً — وسُدت بعد الموت صُمَّ الجَنْدَل

فامْهَد لِنَفْسِكَ صالحاً تَنجو به — فَلَتَنْـدمَنَّ غـداً إذا لـم تَفْعَـل

فانتبهت فَزِعاً، وخرجت من ساعتها هارباً بِدِيني إلى ربِّي.

حسن الظن بالله

مما يروي عن الشيخ بدر الدين الحسني، شيخ دمشق، ومحدِّثها وآخر السلف الصالح، الذي توفي سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م)، أنه كان مسافراً لأداء فريضة الحج في قطار الحجاز، فوقف القطار في عرض البادية لشيء طرأ عليه، والبادية ليست إلا رمالاً ملتهبة وشمساً محرقة، فنزل بعض القوم يُصَلُّون، ونزل الشيخ معهم يُصَلِّي؛ فلما أحرموا بالصَّلاة، وكادوا يركعون، صفر القطار إيذاناً بحركته، فانفض القوم وتعلقوا بالقطار، وتركوا الشيخ قائماً.

قال شاهد العيان: فنظرت إلى الشيخ، فلا والله ما التفت، ولا تحرك، فكدت والله أُجَنَّ، وأقبلت على مَن بيدهم أمر القطار فرجوتهم أن يوقفوه، فأبوا... فسقطت على قدمي كبيرهم حتى لانَ فأمر بالقطار فتقهقر حتى وقف على الشيخ، فإذا هو جالس لم يسَلِّم، فلما سلَّم، قام فركب، وما يبالي بانقطاعه في البادية، ولا

---

(١) زبرني: نهرني.

بالموت الذي يحوم حوله، مادام قائماً بين يدي ربِّ الأرض والسموات، ومَن بيده الموت والحياة.

ذلك مبلغ ثبات الشيخ بدر الدين الحسني رضي الله عنه وحسن ظنه بالله عزَّ وجلَّ[1]».

التوبة

١ـ علامة التوبة الخروج من الجهل، والندمُ على الذنب، والتجافي عن الشهوة وترك الكذب، والانتهاء عن خلق السُّوءِ.

٢ـ وقالوا: التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وأول التوبة الندم.

٣ـ وقال بعض أهل التفسير في قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]: إن التوبة النَّصوح، أن يقلع العبد عن الذنب وأن يتوب العبد عن الذنب، ولا ينوي أن يعود إليه.

٤ـ وقال ابن شُبْرُمة: إني لأعجب ممن يحتمي مخافة الضرر، ولا يدع الذنوب مخافة النار.

٥ـ وقال عليّ بن أبي طالب كرّم رضي الله عنهه: عجباً لمن يَهْلُك ومعه النجاة! قيل له: وما هي؟ قال: التوبة والاستغفار.

---

(١) من مقال للشيخ على الطنطاوي في مجلة الرسالة ـ العدد (١٠٥) ـ السنة الثالثة الصادر (١٣٥٤هـ ١٩٣٥م) ـ وعنوان المقال: مات الشيخ بدر الدين.

لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل

أخرج الإمام البخاريُّ رضي الله عنه في تاريخه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (ليس الإيمان بالتَمَنِّي، ولكن ما وقَر في القلب وصدَّقه العمل، وإن قوماً غرَّتهم الأماني، حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، وقالوا: نُحْسِنَ الظن بالله تعالى! وكذبوا. . . لو أحسنوا الظنَّ لأحسنوا العمل)[1].

المؤمن الحق

١ـ ذُكر أنّ الحسن بن علي رضي الله عنهما، رأى رجلاً يمشي مشية فيها قوّة وسمو، فقال لمن حوله: «انظروا خيلاءَ الشباب».

وسمعه عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما فقال: «لا يا ابن أخي ليست هذه خيلاءَ الشباب، ولكنها عِزَّة المؤمنين».

٢ـ ونظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً مطأْطأ الرأس فقال له: «ارفع رأسك، فإن الإسلام ليس بمريض».

ورأى رجلاً مُظْهر النُّسُك (في الصلاة) متماوتاً، فخفقه بالدُرَّة وقال «لا تمِتْ علينا ديننا، أماتك الله».

٣ـ ورأت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها رجلاً يُطَاف به حول الكعبة وهو محمول على الأكتاف، يلبي الله بصوت خافت فقالت:

---

(١) أورد ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ١٨٨ رقم ٣٥٢١١ الجزء الأول منه. (ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ومكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل.

«مَنْ هذا من هؤُلاء؟ فقالوا: هذا رجل فَطَرَ قَلْبَه الخوف من الله!! فقالت: «إن الزهد صبر وعزم وجَلادة، لا يُضْعِف المؤمنَ بل يزيده قوّة على قوّة. لقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخوفنا من الله، وكان إذا مشى أسرع، وإذا نطق أسمع، وإذا ضرب في ذات الله أوجع».

الثقة الأمين

أودع تاجر من (نيسابور) جارية عند الشيخ أبي عثمان الحيري، فوقع نظر الشيخ عليها يوماً فعشقها وشغف بها حباً. وخوفاً من الفتنة، كتب إلى شيخه أبي حفص الحداد الحال، فأجابه: «سافر إلى المدينة (الري) لتكون في صحبة الشيخ يوسف» وهو من عباد الله المخلصين.

وسافر الشيخ أبو عثمان الحيري إلى (الري)، فلما وصل إليها، سأل الناس عن منزل الشيخ يوسف، فأكثروا في ذِّمه وملامته، وقالوا: كيف يسأل تقي مثلك عن بيت شقي فاسق مثل الشيخ يوسف!!.

ورجع الشيخ عثمان الجيري إلى (نيسابور) دون أن يواجه الشيخ يوسف في (الري)، وقص على شيخه أبي حفص الحدّاد القصة؛ فأمره بالعودة إلى (الري) وملاقاة الشيخ يوسف، فسافر مرة ثانية إلى (الري) وسأل عن منزل الشيخ يوسف، ولم يبال بذم الناس له وازدرائهم به.

وقيل للشيخ أبي عثمان الحيري: إنَّ منزل الشيخ يوسف في محلَّة الخمّارة، فأتى إليه وسلَّم عليه، فرد عليه السَّلام وعظَّمه. وكان إلى جانبه صبي بارع الجمال، وإلى جانبه الآخر زجاجة مملوءة من شيء كأنه الخمر بعينه!!.

وقال الشيخ أبو عثمان الحيري مخاطباً الشيخ يوسف: ما هذا المنزل في هذه المحلَّة؟ فقال: إنَّ ظالماً اشترى بيوت أصحابنا وصيّرها خمّارة، ولم يحتج إلى شراء داري. فقال له: ما هذا الغلام وماهذا؟ الخمر؟! فقال: أما الغلام فولدي من صُلبي وأما الزَّجاجة فَخَلٌ، فقال: ولِمَ توقع نفسك في مقام التهمة بين الناس؟!. فقال: لئلا يعتقدوا أنني ثقة أمين ويستودعوني جواريهم، فأُبتلى بحبهن.

وبكى أبو عثمان الحيري بكاءً شديداً، وعلم قصد شيخه!

شهَامةُ عالم

١ـ كانت لأبي الحسن علي بن أحمد بن علي القالي[1] الأديب نسخة من كتاب (الجمهرة) لابن دريد في غاية الجودة، فدعته الحاجة إلى بيعها، فاشتراها الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الطاهر بستين ديناراً.

وتصفَّحها الشريف المرتضى فوجد بها أبياتاً بخط بائعها أبي الحسن القالي المذكور وهي:

---

(١) قالة بلدة بعربستان جنوب إيران. والقالي: نسبة إلى قالة.

أَنِسْتُ بها عشرين حَوْلاً وبِعْتُها لقد طالَ وجَدِي بعدها وَحَنِيني
وما كان ظَنِّي أنني سَأبِيعُهَا ولو خَلَّدَتْنِي في السجون ديُوني
ولكن لضَعْفٍ وافتقارٍ وَصِبْيَةٍ صغارٍ عَليهم تَستَهِلُّ شُؤوني
فقلت ولم أمْلِكْ سوابِقَ عَبْرَتي مقـالَـة مَكْـوِيِّ الفـؤاد حـزيـن
وقد تُخْرِجُ الحاجات يا أُمَّ مالك كـرائِـمَ مـن رَبٍّ بهـن ضنيـن

فأرجع الشريف المرتضى النسخة إليه، وترك له الدنانير، رحمه الله تعالى.

٢ـ ولأبي الحسن القالي هذا شعر لطيف، قال:

لَّما تبدَّلتِ المجالِس أوْجهاً غير الذين عهدتُ من علمائِها
ورأيتُها محفوفةً بِسوى الأُلَى كانوا وُلاَةَ صُدورِها وفِنَائِها
أنشَدَت بيتاً سائراً. متقَدِّماً والعَين قد شَرِقَت بجاري مائِها
«أما الخيام فإنها كخيامِهِم وأرى نساء الحيِّ غير نسائها»

ومن شعره الحسن قوله:

تَصَدَّرَ للتدريسِ كلُّ مُهَوَّسٍ بليدٌ تسمى: بالفَقِيهِ المُدَرِّسِ
فَحُقَّ لأهلِ العلم أن يتمثلوا بيتٍ قديمٍ شاعَ في كل مَجْلِسِ
«لقد هَزِلَت حتى بَدَاً من هزالِها كلاها وحتى ساطها كل مفْلِسِ

المبادرة بالعمل الصالح

١ـ قال الله عز وجلّ: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣] وقال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ

ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ [الواقعة: ١٠ـ ١١].

٢ـ وقال النَّبيُّ ﷺ: (اغْتَنِم خمساً قبل خَمس: شبَابك قبل هَرمك، وصحَّتَكَ قبل سَقَمك، وفَرَاغَك قبل شُغْلكَ، وحَيَاتَك قَبْلَ مَوْتكَ، وغنَاكَ قَبْلَ فَقْرك).

٣ـ وقال الحسن: «بادروا بالعمل الصّالح قبل حلول الأجل، فإنَّ لكم ما أمضيتم لا ما أبْقَيْتُم».

وقال: «ابنَ آدم صُم قبل أن لا تُقدر على يوم تصوُمه كأنك إذا ظَمِئْتَ لم تكن رَوِيْتَ، وكأنك إذا رَوِيْتَ لم تكن ظَمِئْتَ».

٤ـ وكان يزيد الرَّقاشي يقول: «يَا يزيد! مَنْ يَصُوم عنْك أو يُصَلِّي لَكَ أو يَتَرَضَّى لَكَ رَبَّك إذا متَّ»؟.

٥ـ وكان خالد بن معدان يقول:

إذا أنت لَم تَزرَع وأبصَرْتَ حاصِداً نَدِمْتَ على التفْريط في زمن البَذر

٦ـ قال الشَاعر

ترجو النَّجاةَ ولم تَسْلُك مسالكَها إن السَّفِينَة لا تَجْري على اليَبَسِ

٧ـ وقال ابن عبد ربّه الأندلسي، صاحب العِقْد الفريد:

بادر إلى التَّوبة الخَلْصَاءِ مجتهداً والموتُ ويْحَك لم يَمْدُد إليك يَدَا

وارقبْ من اللهِ وَعداً ليس يُخلِفهُ لابُـدَّ لله مـن إنجـاز مـا وَعَـدا

٨ـ وقال آخر:

إعمَل وأنتَ من الدُّنيا على حَذَر واعلم بأنك بعد الموتِ مبعوث

واعلم بأنك ما قَدَّمتَ من عَمَلٍ يُحْصَى عليك وما خَلَّفْت مَوْروث

٩ـ وقدّمت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى النبي ﷺ صَحْفةً فيها خبز شَعِير وقِطْعة من كَرِش وقالت: «يا رسول الله! ذَبَحنا اليوم شاة، فما أمسَكْنا منها غيرَ هذا»، تريد: فرَّقنا لحم الشاة على الفقراء، ولم يبقَ منها غير هذه القطعة من الكَرِش!.

فقال النبي ﷺ: (بل كلها أمسَكْتُم غير هذا).

١٠ـ وقال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه لأصحابه: «فيمَ أَنْتُم؟»، قالوا: نَرجو ونخاف!.

قال: «مَنْ رجا شيئاً طَلَبَهُ، ومَنْ خافَ شيئاً هَرَب منه».

١١ـ وقال رجل للحسن: «أبا سعيد! أردتُ أن أُصَلِّي فلم أستَطِيع!»، قال: «قَيَّدَتْكَ ذنوبك».

صنفان من أهل النار

قال رسول الله ﷺ: صنفان من أهل النَّار، لم أرهما بعدُ: نساءٌ كاسيات عاريات، مائلات مميلات، على رؤوسهنَّ، أمثال اسنمةِ البُخْت[1] المائلة، لا يرين الجنّة ولا يجدن ريحها.

شمروا.. شمروا

لما نزل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود: ١١٢] قال سيدنا

---

(١) البخت: الإبل الخراسانية، واحدها: بختى، واسنمة البخت: التي يطلق عليها: الباروكه، أي الشعر المستعار الذي يرتديه بعض النسوة وبعض المخنثين من الرجال أيضاً.

رسول الله ﷺ: (شَمِّروا. . شَمِّروا. . . .)[1]، وما رؤى بعدها ضاحكاً.

معنى الاستقامة

١ـ فسّر النبي ﷺ معنى الاستقامة لسفيان بن عبد الله الثَّقفي رضى الله عنه عندما قال: «يا رسول الله! قل لي في الإسلام قولاً لا أَسأَل عنه أحداً بعدك»، فقال: «قل آمنتُ بالله ثم استَقِم».

٢ـ وقد سئل أصحاب رسول الله ﷺ عن معنى الاستقامة، فقال أبو بكرِ الصِّديق رضي الله عنه: «هي عدم الإشراك بالله شيئاً».

وقال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: «استقاموا على الطريقة لطاعته، ثم لم يروغوا روغان الثعلب».

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «أخلصوا العمل لله».

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أدوا الفرائض».

أنتم بواد وأنا بواد فافعلوا ما بدا لكم

لما والى الأمير إسماعيل حاكم دمشق وتوابعها الصليبيين على أن ينجدوه على الملك نجم الدين الأيوبي، ومقابل ذلك تنازل لهم عن بعض النواحي كصيدا وقلعة الشَّقِيف[2] من حصون المسلمين،

---

(١) الحديث معناه صحيح. إلا أن الحديث ضعيف، رواه ابن ودعان برقم ٣٣ في الأربعون الودعانية.

(٢) الشقيف: حصن وثيق بالقرب من صور في لبنان، انظر معجم البلدان (٥ـ ٢٨٤).

أنكر عليه ذلك علماءُ المسلمين. وعندما دخل الصليبيون مدينة دمشق لشراء السِّلاح والمؤن بموافقة من الأمير إسماعيل، أفتى الشيخ عز الدين بن عبد السّلام رضي الله عنه بتحريم مبايعتهم لأنهم يقاتلون بذلك المسلمين، ثم قطع ذكر الأمير إسماعيل من خطبة الجمعة، لأنه تولى الصليبيين، فما كان من الأمير اسماعيل إلا أن عزل الشيخ عز الدين بن عبد السلام عن منصبه وأمر باعتقاله.

وحين صبر الشيخ عز الدين بن عبد السلام على اعتقاله صبْرَ المؤمنين الصادقين، بعث الأمير إسماعيل إلى الشيخ من يسترضيه ويَعِده ويمُنيه ويقول له: «بينك وبين أن تعود إلى مناصبك وزيادة أن تنكسر للسلطان وتقبّل يده لا غير!!» فقال له الشيخ: «ولكن يا مسكين! ما أرضاه أن يُقبِّل السلطان يدي فضلاً أن أُقبِّل يده يا قوم! أنتم في وادٍ وأنا في واد! والحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به!!» فقال له رسول الأمير: «قد رسم لي إن لم توافق أن أشدِّد عليك في معتقلك» فقال الشيخ: «افعلوا ما بدا لكم».

وبقي الشيخ عز الدين في المعتقل إلى أن انتصر الملك نجم الدين الأيوبي على الأمير إسماعيل وعلى الصليبيين، فأخرج الشيخ عز الدين من معتقله معزّزاً مكرّماً.

رضي الله عن سلطان العلماء العز بن عبد السّلام.

لا يصلي مع الجماعة

حضر السلطان بايزيد بن محمد أحد سلاطين العثمانيين إلى المحكمة الشرعية بين يدي الشيخ شمس الدين محمد بن حمزة الفناري، قاضي القسطنطينية ليشهد أمامه في قضية من القضايا، فما كان من الشيخ الفناري إلا أن ردّ شهادة السلطان ولم يقبلها!.

وسأل السلطان الشيخ الفناري عن أسباب ردِّ شهادته، فقال له الشيخ: «إنك تارك للصلاة مع الجماعة؟». وابتسم السلطان، ثم أمر ببناء مسجد أمام داره، ولم يترك صلاة الجماعة بعد ذلك.

تقرأ التنزيلا

قال أحمد شوقي أمير الشعراء في حفلة تكريم البطل العالمي في حمل الأثقال السيد نُصير في كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٣٠:

قُلْ لي نصير وأنت بَرٌّ صادقٌ ... أَحَمَلْتَ إنساناً عليك ثقيلا!

أحملتَ دَيْناً في حياتِك مَرَّةً ... أحملتَ يوماً في الضُّلوع غليلا!

أحملت ظُلْماً من قريب غادرٍ ... أو كاشحٍ بالأمس كان خليلا!

أحملتَ منّا بالنهار مُكَرَّراً ... والليل من مُسْدٍ إليك جميلاً!

أحملتَ طغيانَ اللئيم إذا اغتنى ... أو نال من جاه الأمور قليلاً!

أحملت في النادي الغبي إذا التقى ... من سامعيه الحمدَ والتبجيلا!

تلك الحياةُ وهذه أثقالها ... وُزِنَ الحديد بها فعاد ضئيلاً!

لم لا يلين لك الحديد ولم تزل ... تتلو عليه وتقرأ التنزيلا؟!

الليث وهارون الرشيد

كان قد وقع بين الرَّشيد وزوجه زبيدة مناظرة وملاحاة في بعض الأشياء، فقال هارون في عُرض كلامه: «أنتِ طالق إن لم أكن من أهل الجنة» ثمَّ ندم على ما فرط منه، واغتما جميعاً.

وجمع الرَّشيد الفقهاء وسألهم، فلم يجد من يمينه مخرجاً؟

١ـ وكتب الرَّشيد إلى سائر البلدان من عمله أن يحمل إليه الفقهاء، فلما اجتمعوا وكان فيهم الليث بن سعد[1] سألهم عن يمينه، وهل له مخرج، فأجابه الفقهاء بإجابات مختلفة!.

سكت اللَّيث، فقيل له: مالك لا تتكلم؟ فقال: «يُخْلي أمير المؤمنين مجلسه إن أراد أن يسمع كلامي في ذلك» فانصرف من كان بمجلس أمير المؤمنين من الفقهاء والناس، فقال له الخليفة: «تكلَّم!».

قال الليث: «يا أمير المؤمنين؟ أتكلم على الأمان وعلى طرح التعمّل والهيبة، والطَّاعة لي من أمير المؤمنين في جميع ما أمر به ربه» قال: «لك ذلك».

قال الليث: «يدعو أمير المؤمنين بمصحف» فأمر به فأُحضرْ.

قال الليث: «يأخذه أمير المؤمنين، فيتصَفَّحه حتى يصل إلى سورة الرحمن» فأخذه هارون وتصفَّحه حتى بلغ سورة الرحمن»،

(١) ولد بمدينة قلشقندة وهي بلدة من أعمال القلوبية بمصر سنة ٩٤ هـ وتوفي سنة ١٧٥ هـ أو ١٧٦هـ.

فقال الليث: «يقرأ أمير المؤمنين» فقرأ، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن: ٤٦] قال: «قف يا أمير المؤمنين ها هنا» فوقف.

قال الليث: «يقول أمير المؤمنين: والله..» فاشْتَدَّ على الرَّشيد، فقال له هارون: «ما هذا؟» قال: «يا أمير المؤمنين»، على هذا وقع الشرَّط، فنكَّس هارون رأسه ثم قال: «والله الذي لا إله إلاَّ هو الرحمن الرحيم إلى آخر اليمين»..

قال اللَّيث: «قل يا أمير المؤمنين: إنك تخاف مقام الله» فقال هارون بعد القسم: «إني أخاف مقام الله» فقال اللَّيث: «يا أمير المؤمنين؟ فهما جنتان وليست بجنة واحدة، كما ذكر الله بكتابه» فسمع التصفيق ومظاهر الفرح من وراء الستر ـ وكان وراءَه زبيدة ـ وأجازه الرشيد الجوائز السَّنية، وكذا زبيدة.

إيثار المؤمنين

١ـ دخل أعرابي مؤمن على هشام بن عبد الملك في زمن ضائقة عَمَّ وبالها فقال: يا أمير المؤمنين؟ أتت علينا ثلاثة أعوام: فعامٌ أذاب الشَّحم، وعَامٌ أكل اللَّحم وعام انتقى العظم(١)، وعندكم فضول أموال، فإن تكن لله فبثوها في عباد الله، وإن تكن للناس فَلِمَ تحجب عنهم؟! وإن كانت لكم فتصدقوا بها، إنَّ الله يجزي المتصدقين.

---

(١) انتقى العظم: نقاء مما فيه، أي نقاه من المخ الذي في العظم فأصبح بدون مخ.

قال هشام: هل من حاجة غير هذا يا أعرابي؟

قال الأعرابي: ما ضربت إليك أكباد الإبل، أدَّرع الهجير[1] وأخوض الدُّجى[2]، لخاص دون عام ـ يريد ما فعلت كل ذلك من أجل نفسي ـ!!

فأمر هشام بأموال فرِّقت في الناس تخفيفاً لضائقتهم، وأمر للأعرابي بمال فرّقه في قومه.

٢ـ ولما أجدب الناس بمصر، وعبد الحميد بن سعد أميرهم، قال: والله لأُعلِّمَنَّ الشيطان أني عدّوه.

فقضى محاويجهم، وواسى فقيرهم، إلى أن رخصت الأسعار! ثم عُزِل، فرحل وللتجار عليه ألف ألف درهم، فرهنهم بها حلي نسائه، وقيمتها ألف ألف، فلما تعذر عليه ارتجاعها، كتب إليهم ببيعها ودفع الفَضْلَ[3] منها إلى من لم تنله صلاته.

الرزق

وفد عروة بن أُذينة الشاعر على هشام بن عبد الملك في جماعة من الشعراء، فلما دخلوا عليه عرف عروة، فقال له: ألست القائل؟

لقد علمت وما الاسراف من خُلُقي　　أن الذي هو رزقي سوف يأْتيني

---

(١) إدرع: لبس درع الحديد. والهجير: نصف النهار في القيظ خاصة. وادع الهجير: تحمل الحر في شدته.

(٢) الدجى: سواد الليل وظلمته.

(٣) الفضل: الباقي من الشيء.

أسعـى إليـه فيُعيينـي تطلُّبـه ولـو قعـدت أتـانـي لا يعيينـي

وأراك قد جئت من الحجاز إلى الشَّام في طلب الرزق؟

فقال له: «يا أمير المؤمنين! زادك الله بسطة في العلم والجسم، ولا ردّ وافدك خائباً، والله لقد بالغت في الوعظ، وذكرتني ما أنسانيه الدهر» وخرج من فوره إلى راحلته فركبها وتوجه راجعاً إلى الحجاز.

فلما كان في الليل ذكر هشام وهو في فراشه فقال: رجل من قريش قال حكمة ووفد إليَّ، فجبهتُه ورددته عن حاجته، وهو مع ذلك شاعر لا آمن ما يقول!! فلما أصبح سأل عنه فأُخْبِرَ بانصرافه، فقال: لا جَرَم[1]! سيعلم أنَّ الرزق سيأتيه! ثم دعا مولى له وأعطاه ألفي دينار وقال: «الحق بهذه ابن أذينة واعطه إيّاها».

وأسرع المولى بالمال، فلم يدرك ابن أُذَيْنة إلا وقد دخل بيته فقرع عليه الباب، فخرج إليه، فأعطاه المال، فقال ابن أُذينة: «أبلغ أمير المؤمنين قولي: «سعيت فأكديت[2] فرجعت إلى بيتي فأتاني رزقي».

---

(١) لا جرم: لابد ولا محالة أو حقاً.

(٢) أكدى: الحّ في المسألة وأكدى بخل وفي التنزيل العزيز (واعطى قليلاً وأكدى).

شهامة إمَام

كان لأبي حنيفة رضي الله عنه جار اسكاف[1] بالكوفة. يعمل نهاره أجمع، فإذا جنه الليل رجع إلى منزله بلحم وسمك، فيطبخ اللحم ويشوي السمك، فإذا دب فيه السكر أنشد:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا   ليوم كريهة وسداد ثغر

ولا يزال يشرب ويردد البيت إلى أن يغلبه السكر وينام. وكان الإمام أبو حنيفة يصلي الليل كله ويسمع حديث جاره وإنشاده، ففقد صوته بعض الليالي، فسأل عنه، فقيل: أخذه العَسَّس منذ ثلاثة أيام وهو محبوس.

وصلى الإمام الفجر، وركب بغلته ومشى واستأذن على الأمير فقال: «إئذنوا له وأقبلوا به راكباً حتى يطأ البِّسَاط».

ودخل الإمام على الأمير، فأجلسه مكانه، وقال: «ما حاجة الأمام؟!».

قال الإمام: «لي جار إسكاف، أخذه العسس منذ ثلاثة أيام، فتأمر بتخليته»، فقال الأمير: «نعم» وكل من أخذه العسس تلك الليلة إلى يومنا هذا» ثم أمر بتخليته وتخليتهم أجمعين.

وركب الإمام وتبعه جاره الاسكاف، فلما وصل إلى داره قال له الإمام أبو حنيفة «أترانا أضعناك؟» قال: «لا، بل حفظت ورعيت جزاك الله خيراً عن صحبة الجوار ورعايته، ولله عليَّ ألا أشرب بعدها خمراً» فتاب من يومه، ولم يعد إلى ما كان عليه.

(١) الاسكاف: صانع الأحذية ومصلحها. جمعه: اساكفة.

الذباب والجبار

فسد الحاكم الفاطمي في آخر أمره وتكبرَّ وتجبرَّ وادعى الألوهية، وكتب: بسم الحاكم الرحمن الرحيم، وجمع الناس إلى الإيمان به، وبذل لهم نفائس وأموالاً، وكان ذلك في فصل الصيف وهو في مدينة القاهرة، والذباب يتراكم على الحاكم والخدام ترفعه ولا يندفع.

وقرأ في ذلك الوقت بعض القرّاء، وكان حسن الصَّوت:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الحج: ٧٣ـ ٧٤].. فاضطربت الأمة لعظم وقوع هذه الآيات الشريفة في حكاية الحال، حتى كأن الله أنزلها تكذيباً للحاكم الفاطمي فيما ادعاه، وسقط الحاكم من فوق سريره خوفاً من أن يقتل.

وأخذ الحاكم في استجلاب ذلك المقرىء الذي قرأ تلك الآيات الكريمة، إلى أن اطمأن إليه، فجهزه رسولاً إلى بعض أمراء جزائر البحر الأبيض المتوسط، وأمر بإغراقه قبل أن ينجز مهمته.

ورؤي بعد ذلك المقرىء الشهيد في المنام، فقيل له: ما وجدت؟! فقال: ما قصرّ معي صاحب السفينة! أرسى بي على باب الجنة!.

ورع خليفة

لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وفد الشعراء إليه وأقاموا ببابه أياماً لا يؤذن لهم، فبينما هم كذلك إذ مرَّ بهم رَجاء بن حَيْوَةَ وكان جليس عمر وأحد الفقهاء الورعين، رآه جَرِير داخلاً فقام إليه وأنشده:

يا أيها الرَّجلُ الْمُرخِي عِمَامتَه   هذا زمانك فاستأذن لنا عُمَرا

فدخل عليه فلم يذكر له شيئاً من أمرهم!.

ثمّ مرّ بهم عَدِيّ بن أرطَاة، فقال جرير أبيات آخرها قوله:

لا تَنْسَ حاجتنا جوزيت مغفرة   قد طال مكْثي عن أهلي وأوطاني

ودخل عَدّي على عُمر، فقال: «يا أمير المؤمنين! الشعراء ببابك، وسِهامهم مسمومة، وأقوالهم نافذة». قال: «ويحك يا عدي! مالي وللشعراء»، قال: «أعزَّ الله أمير المؤمنين! إن رسول الله ﷺ قد امتدِح وأعطى، ولك في رسول الله عليه الصَّلاة والسَّلام أُسوَة حسنة»، قال: «كيف» قال: «امتدحه العبّاس بن مِرْدَاس السَّلمي فأعطاه حُلَّة فقطع به لسانه».

قال عمر: «أوَ تَروِي من قوله شيئاً؟»، قال: «نعم قوله»:

رأيتـك يـا خير البـريَّـةِ كلِّهـا   نشرتَ كتاباً جاء بالحق مُعْلِماً
شرعتَ لنا دين الهُدى بعد جورنا   عن الحق لّما أصبح الحقُّ مظْلِما
ونوَّرتَ بالبرهان أمراً مدَلَّساً   وأطفأت بالإسلام ناراً تَضرمّا
فَمَنْ مُبْلِغ عني النبيَّ محمداً   وكل امريءٍ يُجْزَى بما كان قَدَّما

أَقَمْتَ سَبيل الحقِّ بعد اعوجاجه وكـان قـديمـاً رُكنـه قـد تهـدّمـا

فقال عمر: «ويلك يا عدي! مَنْ بالباب منهم؟»

قال عدي: «عمر بن أبي ربيعة».

قال عمر: «أليس هو الذي يقول؟»

ثـمّ نَبَّهتهـا فمـدَّ كِعَـابـاً طفلـةً مـا تبيـنَ رَجْـعَ الكـلامِ
ساعةً ثم إنها بعدُ قالت: ويلتا قد عَجِلْتَ يا ابن الكرامِ

فلو كان عدو الله إذ فَجَرَ، كَتَم على نفسه، لكان سُتِر له لا يدخل والله عليَّ أبداً! فمن بالباب سواه؟

قال عدي: «الفرزدق»؟

قال عمر: «أوليس» الذي يقول؟

هما دَلّياني من ثمانين قامةً كما انْقَضَّ بازٌ أَقْتَمُ الرِّيش كاسِرُه
فلما استوَتْ رجلايَ في الأرض قالتا: أَحَيٌّ فيرجى أم قتيلٌ نحاذره

لا يدخل عليَّ والله! فمن في الباب سواه؟

قال عدي: «الأخْطَل».

قال عمر: «يا عدي! هو الذي يقول؟»

ولست بصائمٍ رمضانَ طوعاً ولست بآكل لحم الأضاحي
ولسـتُ بـزاجـرٍ عِيْسـاً بكـوراً إلـى بطحـاء مكـة للنجـاح
ولسـتُ بـزائـرٍ بَيتـاً عتيقـاً بمكـة أبتغـي فيـه صـلاحـي
ولست بقـائـمٍ بـاللّيـلِ أدعـو قُبَيْل الصُّبح حَيّ على الفلاح

ولكني سأشربها شَمُولاً[1] وأسجد عند مُبْتلج الصباح

والله لا يدخل عليَّ وهو كافر أبداً! فمن بالباب سوى من ذكرت؟

قال عدي: «الأَحْوَص».

قال عمر: «أليس الذي يقول؟»

الله بيني وبين سيِّدها يَفِر مني وأتبعهُ

فما هو بدون مَنْ ذكرتُ! فمن هنا أيضاً؟

قال عدي: «جميل بن مَعْمَر»

قال عمر: «أليس هو الذي يقول:

ألا ليتنا نحيى جميعاً وإن أمُتْ يوافِق في الموتى ضريحي ضريحها

لو كان عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا ليعمل بعد ذلك صالحاً لكان أصلح! والله لا يدخل عليَّ أبداً! فهل سوى مَنْ ذكرت أحداً؟».

قال عدي: «جرير».

قال عمر: «أما هو الذي يقول؟

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة، فارجعي بسلام

فإن كان ولابد، فهو الذي يدخل».

فلما مَثُلَ جرير بين يديه قال: «يا جريرُ؟ اتقِ الله ولا تَقُلْ إلاَّ

(١) الشمول: الخمر. والشمول: ريح الشمال.

حقّاً»، فأنشده قصيدته الرائية المشهورة التي منها:

إنّا لنرجو إذا ما الغَيث أخلَفَنا ... من الخليفة ما نرجو من المطرِ
نال الخِلافة إذ كانت له قَدَراً ... كما أتى ربَّه موسى على قَدَر
هذي الأرامل قد قَضَّيتَ حاجتها ... فمَنْ لحاجة هذا الأرملِ الذَّكَرِ
الخيرُ ما دمتَ حيّاً لا يفارقنا ... بوركت يا عمرَ الخيرات من عمر

فقال عمر: «يا جرير! ما رأى لك فيما ههنا حقاً».

قال جرير: «بَلَى يا أمير المؤمنين! إني ابن سبيل ومُنْقَطِعْ».

قال عمر: «ويحك يا جرير! قد وُلينا هذا الأمر ولا نملك إلاَّ ثلاثمائة درهم، فمئة أخذها عبد الله، ومئة أخذتها أم عبد الله! يا غلام! إعطِهِ المئة الباقية».

وأخذها جرير وقال: «والله لهي أحبُّ مال اكتسبته».

وخرج جرير فقال له الشعراءُ: ما وراءك؟! قال: «ما يسوءُكم خرجت من عند خليفةٍ يعطي الفقراء ويمنع الشعراء، وإني عليه لراضٍ»، ثم أنشد:

رأيت رُقَىَ الشيطان لا تستفزّه ... وقد كان شيطاني من الْجنِّ راقيا

رضي الله عن عمر بن عبد العزيز، الذي كان يمنعه ورعه عن وضع أموال المسلمين في غير مواضعها.

☆☆☆

الفهرس

الموضوع الصفحة